الفصل الثالث
الوسائل التعليمية

تحدث الباحث في هذا الفصل من الدراسة عن أهم الطرق والوسائل التي - تعلم من خلالها الطلاب - ساهم بها العلماء في تقدم التربية في تلك العصور التي تحدث عنها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء)، وقد رأى الباحث أن يتحدث عن أهم هذه الطرق التعليمية، بعد أن تحدث في الفصل الثاني عن العلوم الدراسية، وفي الفصل الثالث عن أهم المؤسسات التعليمية التي شاركت في النهضة العلمية، والتربوية في عصور الدراسة كما ذكرها ياقوت الحموي.

ولما للوسائل التعليمية من أثر إيجابي على تقدم الطلاب في علومهم التي يطلبونها رأى الباحث أن يركز الحديث على أهم هذه الوسائل، متحدثًا في كل عصر عن أهم هذه الوسائل التي ساهمت في تعليم الطلاب واستخدمها المعلمون، ومن بين هذه الوسائل:

- السماع: سواء أكان من العلماء إلى الطلاب أم العكس.
- القراءة: على العلماء أو منهم.
- الإملاء.
- حفظ كتب العلماء واستظهارها.
- الرحلة لطلب العلم.
- الملازمة.
- المصاحبة.
- المناظرة.
- الخطابة والإلقاء.
- التعلم من أفواه العامة.
- النقل من كتب العلماء.

- القياس والمطابقة والاقتباس.
- الإجازة من العلماء لطلابهم.

هذا هو المحور الأول من الفصل الرابع.

والمحور الثاني: يشمل الكتابة وأدواتها ودورها في التعليم والنهضة العلمية وحركة الترجمة من العربية وإليها.

وقد اتبع الباحث التصنيف الذي يعتمد على الترتيب القرني للعلماء الذين تعلموا في كل من القرون الستة الهجرية، حتى يسهل على التصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بطريقة معينة وفي أقصر وقت ممكن، ومن خلال هذا العرض الذي نقدمه لهذا المصدر (معجم الأدباء) يمكن التعرف على أهم الأعلام الذين نبغوا في طريقة معينة من الطرق التربوية دون الأخرى.

لقد رصد ياقوت الحموي في كتابه أهم طرائق التدريس التي سادت في القرنين الأول والثاني الهجريين ومن أهمهما:

أولاً: السماع: ويعني سماع المعلم وهو يروي من الذاكرة، أو يقرأ من كتاب وهو في طليعة الطرق التعليمية من حيث الأهمية والمرتبة، لأنه يتيح للطالب أن يطلع على العلم الذي يرغب في تعلمه نصًا ولفظًا، ويعترض عليه البعض لأن الطلاب لا يستطيعون استيعاب المعلومات كاملة بمجرد سماعها لذلك يلجئون إلى ساعات تعليمية إضافية، يتأكدون من سلامة المعلومات التي أمكنهم سماعها، وقد عرض ياقوت لبعض العلماء والطلاب الذين اهتموا بالسماع في القرن الثاني الهجري ومنهم:

أبو الحجاج، مجاهد بن جبر الملقب بالقارئ، ت: ١٠٤هـ كان مفسرًا من أهل مكة ومن كبار التابعين، سمع علم التفسير من ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأبي ريحانة، وعبد الله بن عمرو(١).

(١)معجم الأدباء،٥/ ٥٥، وميزان الاعتدال، ٣ / ٩ وطبقات المفسرين، ص ١٤١ والزركلي، مرجع سابق، ٥ / ٢٧٨.

- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار، ت: ١٥٠هـ كان من الذين اهتموا بالرحلة إلى البلدان لإسماع أهلها، فقد سمع منه بالري أهلها، فأكثروا عنه الرواية، وأتى بغداد فسمع منه أهلها، وسمع منه أهل الكوفة في المغازي، وسمع منه أهل الجزيرة حينما كان مع العباس بن محمد(١).
- أبو محرز، خلف بن حيان البصري الملقب بالأحمر، ت: ١٨٠هـ كان أول من أحدث السماع بالبصرة فقد سمع منه حماد، وكان ضنينًا بأدبه، ومعلمًا للأصمعي، وأهل البصرة(٢).

ومنه لاحظ الباحث أن السماع كان من الطرق التعليمية التي تعلم منها الطلاب في القرن الثاني الهجري، ولم يقتصر السماع على العلوم الدينية فقط، وإنما كان أيضًا في العلوم اللغوية، وتعلم الشعر. والسماع أصبح في الوقت الحاضر يشمل جانبًا هامًا في طرق التعليم الخاص مثل تعليم المكفوفين فالمكتبة المسموعة تمثل عاملاً هامًا في الوقت الحالي لذوي الظروف الخاصة.

وانتشرت طريقة السماع في القرن الثالث الهجري، وتعلّم الكثير من العلماء والطلاب عن هذه الطريقة، فقد ذكر ياقوت الكثير من العلماء الذين تعلموا عن هذه الطريقة في القرن الثالث ومن بين هؤلاء:

- الواقدي ت: ٢٠٧هـ سمع من مالك بن أنس، والثوري، ومعمر بن راشد بن أبي ذئيب(٣).
- أبو زيد سعيد بن أوس الإمام ت: ٢١٥هـ كان قد اعتمد على السماع من العلماء في تعليمه، وفي نقل علمه ومعرفته فكان كثير السماع من العرب، ومن أبي القاسم بن

(١) معجم الأدباء، ٥ / ٢١٩، ٢٢٠ وابن خلكان، مرجع سابق، ٤ / ٢٧٦ وتهذيب التهذيب، ٩ / ٣٨ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١ / ٢١٤.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٢٩٨ وإنباه الرواة: ١ / ٣٤٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٣١٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩١ ومعجم المؤلفين ١١ / ٩٥ والوافي بالوفيات: ٤ / ٢٣٩.

سلام، وعمرو بن عبيد، وأبو العيناء، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شيبة، ورؤبة بن العجاج(١).

وكان المتعلم يمكنه السماع من أكثر من عالم في علم واحد فقد كان أبو عبدالله ابن الأعرابي ت: ٢٣٢هـ يسمع من المفضل الضبي، ومن الكسائي، ومن أبي معاوية الضرير، والقاسم بن معن المسعودي،ومن إبراهيم الحربي، ومن أبي عكرمة الضبي، وأبي العباس ثعلب، وابن السكيت(٢). وكان المتعلم يلتحق بمجالس العلماء للسماع من العلماء فقد كان أبو عبدالله الملقب بالكاتب ت: ٢٧٧هـ يستمع إلى مجالس يونس بن حبيب، قبل أن يؤدب ولد أمير المؤمنين(٣).

والسماع في الحديث كان يتم عن طريق أن يسمع الطالب الحديث ومعه نص مكتوب وبذلك يستطيع أن يصحح الأخطاء التي قد تحدث في أثناء النسخ، وقد ذكر ياقوت من هؤلاء العلماء النسائي ت: ٢٧٩هـ، وأبو بكر أحمد بن يحيى البلاذري ت: ٢٧٩هـ(٤) وإسماعيل بن إسحاق الأزدي ت: ٢٨٢هـ(٥).

وقد كان علماء القرن الثالث الهجري يعتمدون في كتاباتهم على السماع دون الاقتباس أو الرجوع إلى كتب من قبلهم من العلماء فقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن إسماعيل بن الخصيب ت : ٢٩٠هـ أنه سمع من المتقدمين عليه في السن، فصنف كتاب أسماع الجموع وهو يشتمل على سماعاته من العلماء،وكتاب طبقات الكتّاب الذي اعتمد في تصنيفه أيضًا على السماع(٦).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٧ وخزانة الأدب: ١ / ٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٣٤.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٧ ومعجم المؤلفين: ٥ / ٢٨٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ١٣١.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢٨٤ وإنباه الرواة: ٣ / ٨٨.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٣٥٨، ٢ / ٤٩ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ١٥٦ ولسان الميزان: ١ / ٣٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٢٨، ١ / ٢٦٧.
(٥) معجم الأدباء: ٢ / ١٩٥ ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦١ وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٧٩.
(٦) معجم الأدباء: ١ / ٣٠٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٩٦.

العلماء والطلاب الذين اعتمدوا على السماع في القرن الرابع الهجري:

أرخ ياقوت لبعض الطلاب الذين تعلّموا عن طريق السماع من العلماء، وقد ذكر ياقوت أن السماع من العلماء قد يكون لكتب غيرهم من العلماء فقد سمع محمد بن عاصم ت: ٣١٠هـ من ثعلب كتاب المعاني للفراء(١). وقد سمع أبو العينـاء ت: ٢٨٣هـ من الأصمعي الفقه على المذاهب الأربعة(٢). وقد سمع الطبري ت: ٣١٠هـ من علماء البصرة وتتلمذ على شيوخها مثل: محمد بن موسى الحرشي وعمار بن موسى القزاز، ومحمد بن عبدالأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بندار، ومحمد بن المَعَنّى ومن غيرهم(٣). ومن علماء القرن الرابع الذين تعلموا بالسماع:

- أبو الفضل المنذري الهروي ت: ٣٢٩هـ الذي اختلف إلى ثعلب سنة كاملة في سماع كتاب النوادر لابن الأعرابي، وكان ثعلب يُعلّمه في مجلس حتى سمع الكتاب كُلّه منه(٤).

وعن طريق السماع قد يتقدم الطلاب في علوم أساتذتهم بل قد يتفوق البعض على معلمه، فقد ذكر ياقوت في ترجمة: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الملقب بالحكيم ت: ٣٣١هـ أنه سمع من محمد بن وضاح، وأخذ عنه ثم عاد إلى الأندلس فحدث بها وانتشر بها عنه علم جم، وسمع من محمد الخشنيت: ٢٨٦هـ، وهو من حفاظ الحديث وسمع من مطرف بن قيس ت: ٢٨٢هـ، وعبدالله بن مَسَرَّة، ومحمد بن عبدالله الغاز، وبذلك صار الحكيم عالمًا في النحو لا يتقدمه أحدٌ في ذلك(٥). ومن هؤلاء العلماء:

- ابو سهل محمد بن أحمد القطان المعروف بالمثوني ت: ٣٤٩هـ الذي سمع الكثير من الأدب عن بشر بن موسى الأسدي، ومحمد بن يونس الكديمي، و أبي العينـاء، وثعلب والمبرد، وسمع من علي بن سعيد العسكري ت: ٣٠٠هـ بعض أشعار اللصوص(٦).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩١ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٤٠.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٧ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٣٩.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢٤٨ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٦٢.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٢٧٨ والكامل في التاريخ: ٨ / ٨٩ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٢ / ١٨٥.
(٥) معجم الأدباء / ٥ / ٢٣٥ ولسان الميزان: ٥ / ٤٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ١٣٣، ٦ / ٢٠٥، ٧ / ٢٥٠.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ١٢١ ومعجم البلدان: ٤ / ٤١٢.

ومن طلاب العلم الذين تعلموا عن طريق السماع في القرن الرابع.

- أبو محمد إسماعيل بن علي الخطبي ت: ٣٥٠هـ الذي سمع من الحارث بن أبي أسامة ومن الكديمي وعبدالله بن أحمد. وكان الطالب يصل إلى مرحلة من التعليم يوصف به أعلم معاصريه عن طريق السماع، فقد سئل يونس عن الخطبي وعمله فقال: لو كان فيهم من جمع إلى ذكائه وذهنه ونفاذه، لكان أعلم الناس (١).

وكان الطالب في القرن الرابع يحفظ الكثير مما يسمعه من العلماء، دون الكتابة فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ت: ٣٥٦هـ أنه سمع من أبي القاسم البغوي، وأبي سعيد العدوي، وأبي عبد الله السجستاني، فصار بسماعه منهم أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب (٢). وقد تعلم عن طريق السماع في هذا القرن:

- أبو الصقر أحمد بن الفضل الملقب بساسي دوير، ت: ٣٥٠هـ الذي سمع من إبراهيم بن ذيل، ومن محمد بن بن يزيد المبرد، ومن ثعلب، وابن دريد، والعسكري، ومن علي بن الفضل الرشيدي. وكان المتعلم يجلس في صدر مجلس التعليم بعد سماعه عن شيوخه حتى يُسمِع غيره فقد سمع عن ساسي دوير أبو بكر بن بلال، وخلف بن محمد الخياط وابن رزقة، وأبوعبدالله الكاتب (٣).

وقد ذكر ياقوت الكثير من هؤلاء العلماء في القرن الرابع فذكرهم حصرًا دون الإيضاح: أبوبكر محمد بن موسى المعروف بابن الجبي ت: ٣٥٨هـ (٤)، وأبو العباس إسماعيل بن عبدالله الميكالي ت: ٣٦٢هـ (٥)، وأبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية ت: ٣٦٧هـ بقرطبة (٦). وأبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني ت: ٣٧٨هـ (٧)

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٩٩ ومعجم الأدباء: ٢ / ٢٨٠ وسير أعلام النبلاء: ١٠ / ١٢٩ واللباب: ١ / ٣٧٩ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٩.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٠٣ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٨٦ وإنباه الرواة: ١ / ٢٠٤ والزركلي:مرجع سابق: ١ / ٣٢١.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٥٤٥ والسيرافي: مرجع سابق: ص ٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٤٥٠ وابن حزم: الجمهرة: ص ٤١٦.
(٥) معجم الأدباء: ٢ / ٢٩٣ وهدية العارفين ١ / ٦٤٨.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٠ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ١١١.
(٧) معجم الأدباء: ٥ / ٣٨٦ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ١٦٨.

وأبو عمر محمد بن أحمد النوقاني ت: ٣٨٢هـ[١]، وأبو الحسن محم بن أحمد الفقيه الأديب ت: ٣٧٢هـ[٢]، وأبو القاسم الصاحب ت: ٣٨٥هـ[٣] - ولم يقتصر السماع في هذا القرن على العلوم الدينية فقط، وإنما تعداه إلى العلوم العربية فقد كان (أبا القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ت: ٣٩٠هـ يسمع العربية عن ابن القوطية، وسمع من أبي طاهر الدُّهليّ[٤].

وقد تعلّم من طلاب القرن الرابع عن طريق السماع وبه صار معلمًا:

- أبو طالب علي بن عبدالملك القزويني ت: ٣٩٨هـ الذي سمع من مهرويه، والقطان فكان إمامًا في شأنه، وأخذ عنه خلق كثير[٥].

وقد نشط طلاب العلم في تلقي العلوم عن أساتذتهم عن طريق السماع، وذلك في القرن الخامس الهجري أيضًا، وقد أ رخ ياقوت الحموي للكثير من هؤلاء الطلاب والعلماء مثل:

- أبو الحسن أحمد بن علي البتي ت: ٤٠٣هـ الذي سمع الحديث من علمائه، وكان يميل إلى سماع فقه أبي حنيفة، وكان يكتب للقادر بالله العباسي في ديوان الخلافة[٦].
- أبو إبراهيم أسعد بن مسعود العُتبي ت : ٤٠٤هـ كان قد دخل بغداد فسمع بها من أبي منصور الخوافي، وسمع من جَدّه أبي النصر العتبي[٧]. ومن الذين تعلموا عن طريق السماع:

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٤١ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٦٥.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٦١.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٢١٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٢٢٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٢١٠ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦١.
(٥) معجم الأدباء: ٤ / ١٧٨.
(٦) معجم الأدباء: ١ / ٤٨١ ومعجم المؤلفين: ١ / ٣١٩ واللباب: ١ / ٩٧.
(٧) معجم الأدباء: ٢ / ١٧٧ ومعجم المؤلفين: ٢: ٢٤٨ وإنباه الرواة: ٢ / ١٢٠ وبغية الوعاة: ص ٢٨٢.

- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي ت: ٤٤٣هـ كان ممن سمع الحديث من أبي نصر المحمودي ولذلك روى عنه القاضي أبو منصور السمعاني، فقد صار من أصحاب الحديث(١).
- أبو محمد الحسن بن علي الملقب بالمصحح ت: ٤٤٤هـ والذي سمع من أبي بكر الجناني وأبي بكر بن أبي الحديد، والرُّماني. وبعد سماعه من العلماء صار عالمًا ومن المشتغلين بالحديث روى عنه عبدالعزيز الكتاني، ونجاء بن أحمد، ت: ٤٦٩هـ، وكان المصحح يروي عن القطيعي مسند الإمام أحمد بأسره(٢).
- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣هكان قد سمع ببغداد شيوخ وقته، وسمع من علماء البصرة، و الدينور، و الكوفة، ورحل إلى نيسابور، ثم إلى صور وتوجه إلى طرابلس وحلب لكي يتمكن من اكتساب العلم وزيادة المعرفة(٣).
- أبو عبدالله محمد بن فتوح الملقب بالحميدي ت: ٤٨٨هـ كان أول من سمع من القاسم بن أصبغ وتفقه على أبي زيد القيرواني، وسمع بمكة، وسمع بمصر من أبي محمد الحسن بن إسماعيل المصري المعروف بالضراب، وسمع بالأندلس من ابن عبدالبر، وابن حزم الظاهري، وسمع بإفريقية ودمشق من العلماء(٤).
- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخاصبة ت: ٤٨٩هـ الذي سمع من علماء مكة والشام والعراق، وأكثر ببغداد عن أبي بكر الخطيب، وأصحاب أبي طاهر المُخْلِص والكَتّاني وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم، ويقول ياقوت: سمع ابن الخاصبة جماعة من مشايخنا وسمع بقراءته وإفادته الكثير، ورأيتهم مجتمعين على الثناء عليه والمدح له(٥).

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٥١ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٤ / ١٣٥ وتاريخ بغداد: ٧ / ٨٠ - ٨٢.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ١٣وابن العماد:مرجع سابق:٣ / ٢٧١ولسان الميزان:٦ / ١٤٨والزركلي:مرجع سابق:٢ /٢٠١.
(٣) معجم المؤلفين ٢ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ١١ / ٢٠٨.
(٤) معجم المؤلفين: ١١ / ١٢١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٣ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ٩١ و الكامل في التاريخ: ١٠ / ٨٨ والوافي بالوفيات: ٤ / ٣١٧.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٧٣ وهدية العارفين: ٢ / ٧٧.

- أبو القاسم أسعد بن علي الزوزني الملقب البارع ت: ٤٩٢هـ كان يسمع الحديث ويكتبه إلى أواخر عمره، وسمع بالعراق من أبي عبدالرحمن الداودي، ومن أبي جعفر البجائي وبذلك علت شهرته، فروى عنه أبو البركات الفراوي، وأبو منصور الشحامي(١).

ومنه لاحظ الباحث أن البارع اهتم بجمع الحديث عن طريق السماع من علماء ورجال الحديث وكتابة ما يسمعه بعد أن يعرضه على رجال الحديث فهو كما قال القائل

العلم طير والكتابة صيده فقيد طيورك بالحبال الواثقة

- ابو الفرج محمد بن عبيدالله بن ابي البقاء القصباني، وعبيدالله الرّقي، و الحسن بن رجاء وابن الدهان ، وسمع الحديث بالكوفة(٢).
- أبو محمد جعفر بن أحمد السراج الملقب بالقارئ ت: ٥٠٠هـ كان قد حَصّل الكثير من الشعر والنحو عن طريق السماع من أبي علي بن شاذان، وابن شاهين، والفتح بن شيطا وأبي الحسين التوزي، وقال أبو العباس: ما رأيت أحدًا أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي(٣).

وإذا تحدثنا عن القرن السادس نجد أن ياقوت الحموي ترجم للكثير من طلاب العلم الذين درسوا عن طريق السماع من علمائهم وشيوخهم ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر، ت: ٥١٠هـ وقد سمع من التنوخي، ومن ابن غيلان ويقول السيوطي: وجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة ٤٣٢هـ(٤).
- الحسين بن محمد بن محمود الملقب بالدباس ت: ٥٢٤هـ الذي سمع من أبي علي الموصلي وروى عنه ابن عساكر، ومع نبوغه وتقدمه سمع منه ابن الجوزي، وأبو عبدالله الباقداني(٥).

(١) معجم الأدباء: ٢ / ١٧٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٠٠ واللباب: ١ / ٨٦.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦٥ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ٢٧٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ٩.
(٣)معجم الأدباء:٢ / ٣٧١وابن خلكان:مرجع سابق:١ / ١١٢وإنباه الرواة:٢ / ١٢٦والزركلي:مرجع سابق:١٢١/٢.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ١٨٠ وبغية الوعاة: ص ١١.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ١٩٤ وإنباه الرواة: ١ / ٣٢٨ والوافي بالوفيات: ١١ / ١٠٦ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٦٩ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٧٧٨، ١١١٠.

ومن الطلاب الذين أخذوا عن علمائهم بطريق السماع في القرن السادس الهجري:

- أبو رشاد أحمد بن محمد الأخسيكثي الملقب بذي الفضائل ت: ٥٢٨هـ الذي تتلمذ له تلمذة مباشرة أكثر فضلاء خراسان فسمعوا منه، ويقول أبو المظفر السمعاني: سمعت منه كتاب الآداب والمواعظ للشجري، بروايته عن الصّيرافي(١).
- أبو محمد دعوان بن علي الجبائي الملقب بالضرير، ت: ٥٤٢هـ الذي سمع من الحسين بن النعالي، ومن الحسين البُسْريِّ، ومن أبي المعالي ثابت بن بندار(٢).
- محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني ت: ٥٤٨هـ الذي سمع بدمشق من هاشم بن أحمد الحلبي ت: ٥٧٧هـ، ومن أبي طاهر الخطيب، وبعد نبوغه وتعلمه سمع منه أبو سعيد السمعاني، وابن عساكر، والحظيري، وقد شبهه ابن العماد في الخريدة بابن منير الطرابلسي شاعر الشام(٣).
- أبو الحسن علي بن عبدالله المعروف بابن أبي جرادة العُقَيْلِيُّ الأنطاكي ت: ٥٥١هـ كان قد سمع بحلب من أبي الفتح بن أبي عيسى الحلبي، وأبي الفتيان بن حبُّوس الغنوي(٤).
- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشرف الدولة ت: ٥٥٤هـ وقد سمع بقراءتي مكة والمدينة (مدارس في القراءات)، وسمع ببغداد من مشايخها، وسمع من أبي القاسم الربعي(٥).
- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي سمع من الإمام محمد الفزاري كتاب غريب الحديث للخطابي(٦).

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٨ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١٤٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢١٥.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٢١.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٤٥٣ ومعجم المؤلفين: ١٢ / ٧٧ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ١٥٠ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١٠٤ والعماد الأصبهاني: مرجع سابق: ١ / ٩٦.
(٤) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٣ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٣١.
(٥) معجم الأدباء: ٤ / ٢٦.
(٦) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤ والوافي بالوفيات: ١٢ م ٦٩ وسير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٨٤.

- أبو محمد سعيد بن المبارك الملقب بالدهان، ت: ٥٦٩هـ بالموصل، وقد سمع الحديث ببغداد، ورحل إلى أصبهان وسمع بها واستفاد من خزائن كتبها، وسمع الحديث من أبي غالب أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد الحصين وغيرهما(١).
- أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر، ت: ٥٧١هـ الذي تنوع في سماعه من العلماء، فقد ورث العلم عن طريق السماع من والده، وسمع من ابن الأكفاني، وذكر خلقًا من شيوخ دمشق، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره(٢). وسمع ابن عساكر بمكة والمدينة، والكوفة، وأصبهان القديمة واليهودية، ومرو ونيسابور وهراة وسرخس، ولم يقتصر ابن عساكر في الأخذ عن المشايخ الرجال فقط بل أخذ عن النساء أيضًا فقد كان عدَّة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثمانون امرأة، و مع تقدمه في العلم ونبوغه عاد إلى بغداد فحدّث بها وبمكة وبنيسابور وأصبهان، وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هم أسن منه(٣). ومن الطلاب الذين أخذوا العلم عن طريق السماع:
- أبو علي الحسين بن عبدالله الملقب بالحموي ت: ٥٨٥هـ الذي رحل إلى دمشق فأقام بها مدة، واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من ابن عساكر، ومن عمه، ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية من العلماء، ثم عاد إلى دمشق فظل يُعلّم بها(٤).
- أبو عبدالله محمد بن حامد والملقب بالعماد الكاتب الأصبهاني ت: ٥٦٧هـ الذي تفقه على أبي منصور ابن الرزاز، وسمع منه، ومن أبي بكر الأشقر، وأب يالحسن علي بن عبدالسلام، وابن الصباغ، وأبي منصور بن خيرون، وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي، وبالسماع أصبح الأصبهاني عالمًا بالأدب بل من أكابر الكُتّاب، فقد قدم بغداد حدثًا فتأدب وتفقه، ومن مصنفاته الشاهدة على إبداعه خريدة القصر(٥).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٩ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٢٩ والوافي بالوفيات: ١٣ / ٨٥.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤١ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١١٨ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٢٩٤.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٨٠ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٢٩٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٣ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٦ / ٧٧.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ١٤٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٤٢ والعماد الأصبهاني: مرجع سابق: ١ / ٤٨١ - ٤٩٦.
(٥)معجم الأدباء: ٥ / ٤٢٠ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٢٠٤ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣ / ٦١ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٣٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ٢٦ واليافعي: مرجع سابق: ٣ / ٤٩٣.

- ابن حيدرة شيث بن إبراهيم المعروف بابن الحاج القناوي ت: ٥٩٨هـ كان أحد أكابر المعاصرين الذين أفادوا من التدريس عن طريق السماع فقد سمع من الحافظ أبي طاهر السلفي، وقد حدّث ودرّس لطلابه بعد سماعه من العلماء(١).
- أبو الحسن علي بن الحسن العبدري المعروف بابن مقلة ت: ٥٩٩هـ الذي سمع بالبصرة من أبي محمد بن جابر الأنصاري، وأبي العز المالكي، ومن أبي الحسن بن عبد الملك الواعظ، ومن أبي إسحاق بن عطية الشافعي إمام جامع البصرة، وسمع ببغداد من الشهرزوري، ومن أبي بكر الزغواني وغيرهم(٢).

ومن طلاب العلم في القرن السابع الهجري، والذين أخذوا العلم عن طريق السماع :

- أبو عبدالله محد بن عبدالله المرسي السلمي الملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي أخذ علم الحديث سماعًا عن علماء الحديث فقد سمع الحديث بواسط من ابن عبدالسميع وابن المانداني ومشيخته، وسمع بهمذان من جماعة، وبنيسابور سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي، وسمع جزءاً من ابن نجيد، وسمع ن منصور بن عبد المنعم الفرّاوي، وسمع بهراة من ابن روح الهروي، وبمكة من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، ومع تقدمه في علم الحديث عن طريق السماع أخذ عنه بعض طلابه فقد: حدّث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن الفراوي، وحدّث بكتاب غريب الحديث للخطابي، وكان يترك كتبه في البلاد التي ينتقل إليها بحيث لا يستصحب كتبًا في سفره اكتفاء بما لديه من الكتب في البلد الذي يسافر إليه(٣).

ولم يقتصر شرف الدين في سماعه من العلماء على الذكور فقط بل تعداه إلى السماع من العلماء فقد " سمع من أم المؤيد زينب بنت عبدالرحمن الجرجاني الشعري ت

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٤١٢ وحسن المحاضرة: ١ / ٢٥٨ والإدفوي: مرجع سابق: ص ص ١٣٧ - ١٣٩ وإنباه الرواة: ٢ / ٧٤.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤٧ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٦٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٤.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٤٩ وبغية الوعاة: ص ٦٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٩٧ والوفي بالوفيات: ٣ / ٣٥٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٣٣.

٦١٥هـ فقد كان لها اشتغال بالحديث، وأخذت عن جماعة من العلماء رواية وإجازة وانقطع بموتها إسناد عال في الحديث(١).

الخلاصة: مما سبق يتضح أن ياقوت الحموي ذكر من بين الطرق التربوية التي تعلّم من خلالها طلاب العلم والتي كانت شائعة على مر القرون الست الهجرية الأولى طريقة السماع، وهي من الطرق التقليدية التي يجلس فيها المتعلم أمام شيخه، ويحمل معه الكتاب الذي يريد تصحيحه ويستمع إلى شيخه ويصحح ما به من أخطاء، ولاحظ الباحث أن السماع من العلماء لم يقتصر على تعلّم العلوم الدينية فقط وإنما تعداه إلى العلوم اللغوية، وعلى وجه الخصوص الأدب والشعر، كما تبين للباحث أن الطلاب لم يعتمدوا في سماعهم من العلماء على الذكور فقط وإنما شاركتهم النساء في هذا الدور، وبذلك يكون ياقوت الحموي قد أرخ لطريقة السماع كواحدة من الطرق التعليمية التقليدية وبهذا فإن معجم الأدباء يُعد مصدرًا هامًا من مصادر تاريخ التربية لا يمكن الاستغناء عنه.

ثانيًا: الإملاء.

أرخ ياقوت لطريقة الإملاء كواحدة من الطرق التعليمية التي كانت سائدة في المدة التي تناولها بالحديث في معجم الأدباء، وهذه الطريقة تَعلّم من خلالها الكثير من طلاب العلم في مختلف القرون الهجرية التي بدأت من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري وقد ذكر ياقوت من بين طلاب القرن الثاني الذين أخذوا عن علمائهم عن طريق الإملاء

- أبو سلمة بن دينار الملقب بالإمام ت: ١٦٧هـ الذي اتخذ من الإملاء طريقًا يتعلم من خلاله النحو ويسجله فيقول: كان سيبويه يَسْتَمْلي على حماد، وأنا أدوّن(٢).

(١) ابن العماد: مرجع سابق: ٥ / ٦٣ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٩٢، ٦ / ١٨١ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٦٦ ومعجم الأدباء: ٥ / ٣٥٠.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٢٤٥.

- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر، ت: ١٩٤هـ كان شيخ النحاة في عصره، فقد أملى على الناس شواهد النحو، فأراد الفراء أن يتممها فلم يجتمع له أصحاب الكسائي كما اجتمعوا للأحمر(١).

وهنا لاحظ الباحث أن الطلاب المتعلمون يفضلون بعض العلماء على بعض في نفس مادة التعليم.

وذكر ياقوت من بين الطلاب والعلماء الذي اتخذوا من الإملاء وسيلة تعليمية في القرن الثالث الهجري:

- أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت: ٢٣٢هـ روى عنه ثعلب قال: قال لي ابن الأعرابي أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد حِمْلُ جمل(٢).
- أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الملقب بالضرير البغدادي ت: ٢٨٢هـ الذي حضر إلى نيسابور وأقام بها وأملى بها المعاني والنوادر(٣).
- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ كانت له مجالسات وأمالٍ أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر رواها عنه جماعة(٤).

ومن طلاب وعلماء القرن الثالث الهجري الذين تعلموا عن طريق الإملاء:

- أبو الهيذام العقيلي اللغوي ت: ٢٩٠هـ، أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان، ت: ٢٩٩هـ الذي روى عنه العسال قال في آخر العروض: إلى ها هنا أملى عليّ ابن كيسان وأنا أكتب وأستمليه وفرغنا من العروض سنة ٢٩٨هـ(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٥ وبغية الوعاة: ص ٣٣٤ وميزان الاعتدال: ٤ / ٢١٨ وإنباه الرواة: ٢ / ٣١٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧١.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ١١ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٧٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ٨٠ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٢.

(٣) معجم الأدباء: ١ / ٣٤٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢١٤ ولسان الميزان: ١ / ١٦٦.

(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٧٧ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٠٣ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٦٧.

(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٢٦،٥ / ٩٤ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢١٣ وبغية الوعاة: ص ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

وفي القرن الرابع الهجري جمع الطلاب بين الإملاء والسماع ومن هؤلاء الذين تتلمذ لهم الكثير من طلاب العلم:

- أبو جعفر الطبري ت: ٣١٠هـ الذي روى عنه ابن كامل قال: أملى علينا الطبري من كتابه جامع التفسير في تأويل القرآن الكريم مائة وخمسين آية، ثم خرج إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك سنة ٢٧٠هـ وقرأ عليه كبار الناس، فقد ذكر ابن خزيمة أنه سئل ابن خالويه قال: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قال: نعم كتبنا التفسير عنه إملاءً، قال كله؟ قلت: نعم، قال: في أي سنة؟ قلت: من سنة ٢٨٣هـ إلى ٢٩٠هـ، وقد ترك الإملاء في نهاية حياته، وكان يظن أن فيه لجاجة(١).
- أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت: ٣١١هـ قال دخل الزجاج إلى ثعلب في أيام المبرد وقد أملى عليه شيئًا من المقتضب(٢).
- أبو العباس أحمد بن عبيدالله الثقفي، ت: ٣١٤هـ الذي كتب كتابًا في أستاذه ابن الرومي وجلس بين طلابه يُمليه على الناس(٣).
- أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير، ت: ٣١٥هـ كان يتحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه في جملة ما يُملي(٤).
- أبو بكر محمد بن أحمد الملقب بابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ الذي كان يؤخذ عنه ما يُمليه دون ما كان يُقرأ عليه، كما ذكره الفارسي(٥).
- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد، ت: ٣٢١هـ الذي أملى الجمهرة على طلابه في فارس، ثم أملاها بالبصرة، وبغداد معتمدًا على حفظه، ولذلك لم تتفق(٦).

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥٥ وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٢١٠ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٦٠ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٦٩.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٨٦ وإنباه الرواة: ١ / ١٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٤٠.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٤٧٢.
(٤) المرجع السابق: ٤ / ١٣٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩١.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٩٦ والأنباري: مرجع سابق: ص ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٨ ولسان الميزان: ٥ / ١٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٠.

ومن علماء القرن الرابع الذين تعلموا عن طريق الإملاء :

- أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت: ٣٢٢هـ كان يعلم الصبيان عن طريق الإملاء عليه وتصله على ذلك جوار (أجرة ومكافأة) يدرها عليه ابن الجيهاني وزيد بن أحمد الساماني(١).
- أبو عبدالله إبراهيم بن محمد الملقب نفطويه ت: ٣٢٣هـ كان يُعلّم طلابه عن طريق الإملاء عليهم ففي رواية أبي هلال في كتابه الأوائل قال: كنا في مجلس نفطويه وهو يملي على طلابه النحو والحديث(٢).
- أبو القاسم جعفر بن محمد الملقب بالفقيه الشافعي ت: ٣٢٣هـ كان يجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره، وشعر غيره، وكان يملي أيضًا من الحكايات المستطابة وشيئًا من النوادر المؤلفة، وطرفًا من الفقه وما يتعلق به(٣).
- أبو الحسن أحمد بن جعفر الملقب بجحظة البرمكي ت: ٣٢٤هـ كان له مجلس يُعلّم منه ففي رواية الحسين بن العباس قال: جئت يومًا في مجلس الأدب لجحظة البرمكي والناس عنده وهو يملي عليهم من علمه، لكي أتعلم منه مما يُعلّم الناس(٤).
- أبو الفضل محمد بن أحمد الهروي ت: ٣٢٩هـ وقد كان شيخًا لأبي منصور الأزهري أملى كتاب التهذيب بالرواية عنه(٥).
- أبو الحسن المسعودي، ت: ٣٤٦هـ بمصر، وقد أملى الكثير في مجالسه، وعجز لضعفه عن الإملاء في باقي المجالس، فقُرِئَ عليه وهو يسمع(٦).

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٧٤ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٤٠ والوافي بالوفيات: ٦ / ٧، والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٣٤.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ١٦٧ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ١٨٣ وسير النبلاء: ١٠ / ١٨ وإنباه الرواة: ١ / ١٧٦.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٩٢.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٣٢٣ وسير النبلاء: ١٠ / ٥٤ والمنتظم: ٦ / ٢٨٣.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٢٧٨ وابن شاكر: مرجع سابق: ٢ / ١٨٥.
(٦) معجم الأدباء: ٤ / ٤٩ ولسان الميزان: ٤ / ٢٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٧.

- أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمي ت: ٣٥٠هـ الذي تعلم عن طريق الإملاء فقد كان مُستملي أبي جعفر الجَلُودي، وسمع كتبه كلها ورواها(١).
- ومن هؤلاء العلماء أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضي ت: ٣٥٠هـ الذي أملى كتاب السير وأخذ عنه عدد من العلماء: مثل الوراق، والمزني، وابن رزقويه، والحمامي(٢).
- أبو علي القالي البغدادي: ٣٥٦هـ الذي دخل قرطبة في أيام عبدالرحمن الناصر، وأملى كتبه بها عن ظهر قلبه فقد أملى كتاب الأمثال(٣). وعاصره أبو جعفر الميكالي ت: ٣٨٨هـ(٤).

الإملاء كطريقة من طرق التعليم في القرن الخامس الهجري:

أرخ ياقوت الحموي في معجمه لكثير من الطلاب والمتعلمين الذين درسوا وتعلّموا عن طريق الإملاء ومن هؤلاء الطلاب والمتعلمين والعلماء:

- أبو علي المحسن بن إبراهيم الملقب بالصابئ ت: ٤٠١هـ، وأبو القاسم بن كوجك ت: ٤١٦هـ الذي أملى بصيدا على طلابه حكايات مقطعة عن ابن خالويه وأخبر ابن طِلاب قال: أملى علينا الأستاذ أبو القاسم، وقرأنا عليه(٥). وقد كان الإملاء في العلوم الدينية وغيرها، ففي ترجمة: أبي بكر محمد بن أحمد المَعْمَرِيُّ ت: ٤٢٨هـ قال سمعت أبا حفص محمد بن علي واستمليت له الفقه(٦).
- أبو الفتوح الجرجاني ت: ٤٣١هـ الذي رحل إلى الأندلس فأملى بها كتاب شرح الجمل للزجاجي، وروى ببغداد عن ابن جني، والربعي، وابن الحسين البصري(٧).

---

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٠٥.
(٢) المرجع السابق: ١ / ٥٤٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٩٩.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٠٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٨٦.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٢٣٥ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٨.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٦٠ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٥.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٦١ ومعجم المؤلفين: ٨ / ١٨٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٦.
(٧) معجم الأدباء: ٢ / ٣٦٧ وإنباه الرواة ١ / ٢٦٣ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٦٠٤.

وكان الطلاب بعد أن يكملوا تعليمهم عن طريق الإملاء يجلسوا ليعلموا غيرهم من طلاب العلم فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي المظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث، كان حيًا: ٤٣٢هـ أنه كان كتب ما أملاه عليه العلماء في علم النحو، ثم جلس يُمْلِي من حفظه وما يشك فيه يجعل بعض طلابه يعاوده فإذا صح أمرهم بإثباته إلى أن يتم الكتاب(١)

وبعض العلماء كان يُملي من الكتاب دون الاعتماد على الحفظ، ففي ترجمة أبي القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت: ٤٣٦هـ أنه كانت له مجالس أملاها من كتابه المسمى بالغرر والدرر المشتمل على فنون من معاني الأدب، وتكلم فيه عن النحو واللغة(٢).

وطريقة الإملاء كانت تساعد أصحاب العاهات مثل المكفوفين في تأليف الكتب فقد كان أبو العلاء المعري ت: ٤٤٩هـ مكفوفًا، فإذا أراد التأليف أملى على كاتبه التنوخي حتى كان له من الكتب الكثير(٣).

وقد يكون لطريقة الإملاء بعض السلبيات التي من بينها قلة المؤلفات التي يتركها العالم بعد وفاته فقد ذكر ياقوت في ترجمة (علي بن عبدالله المعروف بابن أبي الطيب ت: ٤٥٨هـ أنه كان يُملي من حفظه، ولما مات لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربعة مجلدات في الفقه والأدب والتاريخ(٤).

وقد كان العلماء يتخذون من طريقة الإملاء وسيلة للتدريس بالمساجد ففي ترجمة ياقوت للخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ ببغداد، قال: كان البغدادي يُملي على تلاميذه بجامع المنصور، ففي رواية أبي سعد السمعاني قال: سمعت جميع كتاب مدينة السلام

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٨ وابن عساكر: مرجع سابق: ٢ / ١٨٢ - ١٨٤.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٧٤ ولسان الميزان: ٤ / ٢٢٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٨.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٤١٧ وسير النبلاء: ١١ / ١٥٦ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٨١.
(٤) معجم الأدباء: ٤ / ١٤١ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٠٤.

من مصنفه أبي بكر إملاءً، غير جزءين (السادس، والثلاثين) وكان قد شرط في الابتداء ألاّ يعاد أكفوات لأحد، فبقيا غير مسموعين(١).

وهنا يلاحظ الباحث سلبية أخرى من سلبيات طريقة الإملاء وهي ترك المتعلم لما لم يدركه مع غيره من المتعلمين من أساتذته.

وقد استخدم العلماء طريقة الإملاء في تعليم النحو لتلاميذهم في القرن الخامس الهجري ومن هؤلاء: أبو القاسم زيد بن علي الفارسي الفسوي ت: ٤٦٧هـ الذي كان يقوم بتعليم أهل البلاد التي ينزل بها عن طريق الإملاء، متخذًا من ذلك وسيلة لشرح العلوم والكتب التي كتبها العلماء، فقد استوطن الفسوي حلب لإقراء النحو بها، فقرءوا عليه واستفاد أهلها منه، وسكن دمشق مدة أملى بها كتاب شرح الإيضاح وكتاب شرح الحماسة(٢).

- أبو نصر محمد بن محمد الرامشي النيسابوري ت: ٤٨٩هـ كان قد تخرج به جماعة أملى عليهم بنيسابور(٣).

ومن علماء القرن السادس الذين اتخذوا من الإملاء طريقة تعليمية:

- أبو طاهر إسماعيل بن محمد الملقب بالوثابي ت: ٥٣٣هـ قال عنه السمعاني: أُضِرّ الوثابي في آخر عمره، فدخلت عليه داره بأصبهان واقترحت عليه رسالة فقال لي: خُذ القلم واكتب وأملى عليّ في الحال بلا بروي ولا تفكر، كأحسن ما يكون(٤).

(١) معجم الأدباء: ١ / ٤٩٨ - ٥٠٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ١١ / ٢١١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢ / ٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٧٢ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٣١٩.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٥٦ وبغية الوعاة: ص ٢٥٠ ومعجم المؤلفين: ٤ / ١٩٠ والوافي بالوفيات: ١٣ / ١٩ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٦٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٠.
(٤) المرجع السابق: ٢ / ٣٠٨.

- أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الملقب بجامع العلوم ت: ٥٣٥هـ قال عنه البيهقي: قرأت في خاتمة كتاب كشف المشكلات للجامع قوله: وقد أمْلَلْتُهُ بعد كتاب الجوهر، وكتاب المجمل وكتاب الاستدراك(١).

ومما سبق نلاحظ أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي يُعد مصدرًا هامًا من مصادر تاريخ التربية، الذي أرخ من خلاله ياقوت لبعض طرق التعليم التي كانت سائدة آنذاك، في القرون الست الأولى من الهجرة بدءاً من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري

ثالثًا: القراءة:

ذكر ياقوت من بين الطرق التربوية والتعليمية التي تعلم من خلالها طلاب العلم القراءة والتي يقصد بها العرض أي أن الطالب يقرأ أمام المعلم النصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها وهي تتيح للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب لمادة التعلم السابقة، وتستخدم هذه الطريقة بصورة مستقلة أو مساعدة لطريقة السماع.

وقد ذكر ياقوت من بين طلاب العلم الذين درسوا عن طريق القراءة في القرن الثاني الهجري:

- أبو الحجاج مجاهد بن جبر القارئ ت: ١٠٤هـ الذي قرأ على عليّ بن أبي طالب، وأخذ القراءات عن عبدالله بن عباس: ت ٦٨هـ، وعن عبدالله بن أبي ليلى، وأبي بن كعب(٢)
- أبو الخطاب السدوسي ت: ١٧٧هـ الذي قرأ على أبي الحسن البصري، وابن سيرين وبالقراءة أصبح قتادة أجمع الناس ويقول الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة،وما كنا نفتقد في كل يوم راكبًا من ناحية بني أمية يُنيخ على باب قتادة، يسأله عن خبر أو نسب أو شعر(٣).

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٨٦ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٧٥ ونكت الهميان: ص ٢١١ وإنباه الرواة: ٢ / ٢٤٧ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٩.
(٢) معجم الأدباء:٥ / ٥٤ وطبقات المفسرين:ص٤٢وميزان الاعتدال:٩/٣والزركلي:مرجع سابق:٥/ ٢٧٨ - ٤ / ٩٥.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٦ وتذكرة الحفاظ: ١ / ١١٥ والعسقلاني: مرجع سابق: ٣ / ١٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ١٨٩ ونكت الهميان: ص ٢٣٠.

- أبو عمر زبان بن العلاء الملقب بالإمام ت: ١٥٤هـ بالكوفة، الذي قرأ بمكة والمدينة والكوفة عن شيوخ كثرة منهم: أنس بن مالك، والحسن البصري، وسعيد بن جبير وعكرمة، ومجاهد(١).
- أبو بكر بن عياش المعروف بابن الخياط، ت: ١٩٣هـ الذي اهتم بتعليم غيره عن طريق القراءة ففي رواية المرزباني قال: بعث أبو بكر بن عياش إلى يوسف الأعشى فمضيت معه، ومعنا عبدالوهاب بن عمر، والعباس بن عمير فدخلنا عليه، فقال لأبي يوسف قد قرأت عليّ من رأس المائة من براءة(٢).

ويلاحظ الباحث أن العلماء لم يقصروا استخدامهم على الطرق التقليدية للتربية بل اهتموا بالطرق التربوية من المراجعة والمناقشة لمعلومات الطالب على يد أستاذه خشية النسيان، وأفضلية التعلم في الصبى جعل من ابن الخياط هذا العالم الذي يضرب بعلمه المثل.

وقد يكون العرض من الشيخ على تلاميذه، غير أن ذلك يتوقف على سعة عقل الطلاب وذاكراتهم، وقدرتهم على حفظ واستيعاب هذه المعلومات فقد ذكر ابن الخياط أن أبا عاصم كان يأتيه زر بن حبيش الأسدي، فيُقرؤه خمس آيات لا يزيد عليها شيئًا، وكان زر بن حبيش قد قرأ على عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) القرآن كله في كل يوم آية واحدة لا يزيده شيئًا(٣).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٤٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٨٦ والوافي بالوفيات: ١ / ١٦٤ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٤١.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٣٨ - ٣٤٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ٤٩.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٤٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٤٣.

ومن علماء القرن الثالث الهجري الذين اهتموا بالقراءة :

- أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب الكوفي ت: ٢١٤هـ الذي تحدث عن طرق التعليم والتي منها التعليم التلقائي وهو ما ينقله الطلاب عن أساتذتهم عن طريق القراءة(١).

وقد كان الصبيان يأخذون العلم عن العلماء عن طريق القراءة فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي حاتم السجستاني ت: ٢٥٥هـ قال: كان المبرد يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه وهو غلام(٢).

ويقول أبو العباس سمعت السجستاني يقول: قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين وكان حسن العلم بالعروض(٣).

ومن العلماء من يجمع بين القراءة والرواية في التعليم، ومن هؤلاء :

- أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ت: ٢٥٩هـ الذي جمع بين القراءة والرواية فقد كان حسن الرواية جيد الدراية، وقد روى عنه أبو عبدالله اليزيدي، وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم سنة ٢٥٠هـ، وقد روى هو عن محمد بن زياد ابن الأعرابي، وعن نفطويه النحوي(٤).

ومن هؤلاء العلماء المهتمين بطريقة القراءة :

- أبو ع مر بن حمدويه الهروي ت: ٢٥٥هـ الذي رحل إلى خراسان، وأخذ عن أصحاب النضر بن شُميل والليث، وفي العراق قرأ على ابن الأعرابي، والأصمعي، وسلمة بن عاصم والفراء، وأبي حاتم السجستاني، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة والرياشي(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٩٧ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥ / ٢١٦ وابن كثير: مرجع سابق: ١٠ / ٢٦٩.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٤٠٣ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٨٥ وسير النبلاء: ٨ / ٢٠٦ والوافي بالوفيات: ١٤ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢ / ٤٣٢.
(٣) الزركلي: مرجع سابق: ١ / ٧٩.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٥ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٩١ وابن النديم: مرجع سابق: ١ / ٧٩.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٤١٠ وبغية الوعاة: ص ٢٦٦ وإنباه الرواة: ٢ / ٧٧.

وقد تأثر الهروي بالبيئة الطبيعية التي تنقل بينها الهروي، وقد وضح ذلك في كتابه غير أنه كان يضن بهذه المصنفات من الكتب، ولم يعلم أن الضن من الصفات غير المحمودة بين العلماء.

وقد ظهر في القرن الرابع الهجري الكثير من الطلاب والعلماء الذين اعتمدوا على القراءة كواحدة من الطرق التعليمية ومنهم:

- أبو موسى سليمان بن محمد الملقب بالحامض البغدادي ت: ٣٠٥هـ الذي قرأ على أبي علي النقار، كتاب الإدغام للفراء ، فقال له أبو علي، يا أبا موسى أراك تُلّخص البيان تلخيصًا لا أجده في الكتب، فقال له: هذه ثمرة صحبة أبي العباس ثعلب أربعين سنة(١).

ويلاحظ الباحث أن مصاحبة وملازمة العلماء تُكسب الطلاب المزيد من طرق نقل العلوم عنهم، والنبوغ والتفوق فيها، وإظهار الإعجاز من خلالها، ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ الذي كان قديمًا يقرأ لحمزة قبل أن يختار قراءته، وفي رواية أبي عبدالله الفرغاني قال: قال لنا أبو جعفر قرأت القرآن على سليمان بن عبدالرحمن بن حماد الطلحي، وقد كان الطلحي يقرأ على خلاّد، وخلاّد قرأ على سليم بن عيسى، وقرأ سليم على حمزة، ثم أخذ القراءة أبو جعفر عن يونس بن عبدالأعلى، عن ابن كيسة عن سليم عن حمزة.

وذكر ياقوت في معجمه: أن أبا جعفر الطبري، لم يكن منتصبًا للإقراء ولا قرأ عليه إلاّ آحاد من الناس كالصفار، ثم يقول: أما القراءة عليه باختيار فإني ما رأيت أحدًا أقرأ به غير أبي الحسين الجبي، وكان ضنينًا به(٢).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٨ والفراء: معاني القرآن: تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠وابن العماد: مرجع سابق: ص ٣٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥٨ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ واللباب: ٢ / ٨١.

وقد لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت قصر الطرف عن بعض شيوخ الطبري الذين أخذ عنهم، وتلاميذه الذين أخذوا عنه، ففي كتاب ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه للدكتور / محمد عثمان يقول: تتلمذ أبو جعفر الطبري على: يحيى بن عثمان المصري ت: ٣٨٣هـ وقد أثبت الطبري مرويات عن يحيى عن طريق ابن بكير عن الليث بن سعد عن ابن لهيعة، عن عبداله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وهؤلاء العلماء ممن تتلمذ عليهم الطبري تلمذة مباشرة، وتفسير ابن كثير ذاخر بروايات المصريين الثقات، وهؤلاء الشيوخ هم أعمدة المدرسة المصرية في التفسير والتي جمعت بين المدرسة المكية والمدنية(١).

ومن شيوخ الطبري الذين تتلمذ عليهم بطريق غير مباشر: عبدالله بن لهيعة ت: ١٧٤هـ وشيخ الديار المصرية: الليث بن سعد، ث: ١٧٥هـ، ويزيد بن سويد الأزدي المصري النوبي ت: ١٢٨هـ، وجعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندي ت: ١٣٠هـ والحارث بن يعقوب مولى قيس بن عبادة ت: ١٣٠هـ والكناني المعروف بالولاء المصري ت: ١٣٦هـ وابن الجمحي الإسكندراني ت: ١٣٦هـ، وخبر بن نعيم بن مرة قاضي مصر ت: ١٣٧هـ، وسعيد بن يزيد الحميري الإسكندراني ت: ١٥٢هـ(٢).

ليس ذلك فقط وإنما تتلمذ على الطبري الكثير من طلاب العلم الذين رووا عنه فقد روى عن ابن المبارك، و هيثم، والوليد بن مسلم، وابن وهب، وأبو صالح كاتب الليث، ويحيى بن بكير، وقد تعلم الطبري من شيوخ كان لهم اليد الطولى في العلم فكان من أساتذته المباشرين: " زكريا بن يحيى الوقار المصري ت: ٢٥٤هـ، وعبدالرحمن بن عبدالحكم ت: ٢٥٧هـ وابن وهب ت: ٢٦٤هـ، ويونس بن عبدالأعلى ت: ٢٦٤هـ، وبحر بن نصر

(١) محمد محمد عثمان: ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه: ص ١١٠.
(٢) ابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٥ والرازي: مرجع سابق: ٣ / ١٧٩.

الحولاني ت: ٢٦٧هـ ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم ت: ٢٦٨هـ، وأحمد بن عبدالرحيم البرقي ت: ٢٧٠هـ والربيع بن سليمان ت: ٢٧٠هـ، وعلي بن داود ت : ٢٧٠هـ(١).

ومن طلاب هذا القرن الذي تعلموا بالقراءة على العلماء :

- أبو الحسن علي بن سليمان الملقب بالأخفش الصغير ت: ٣١٥هـ الذي قرأ على ثعلب والمبرد، وأبي العيناء، واليزيدي(٢).
- ابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ الذي قرأ عليه أبو علي الفارسي النحو، وأخذ عنه بالقراءة الزجاج وغيره(٣).
- أبو عبدالله أحمد بن سليمان الطوسي ت: ٣٢٢هـ الذي قرأ كتاب لنسب للزبير فحصل على الإجازة(٤). ويرى الباحث أن الإجازة تعني سماع المتعلم من المعلم، وتقتصر الإجازة على الحديث وأحيانًا على كتب النحو، وقد تكون محدودة بأحاديث معينة أوعامة تشمل جميع المادة التي حدّث بها أو صنفها، وقد تكون الإجازة شفوية أو تحريرية، والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية.

وقد عاصر الطوسي من طلاب العلم الذين درسوا عن طريق القراءة على العلماء :

- أبو عبدالله إسماعيل بن القاسم الملقب بالقالي البغدادي ت: ٣٥٦هـ ببغداد، الذي اهتم بتلقي العلم من العلماء عن طريق القراءة فقد " قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه، وسأله عنه حرفًا حرفًا(٥).

ويلاحظ الباحث أن ياقوت يصمت عن إقرار طريقة تربوية تتم بين الطالب وأستاذه في إجابته عن الأسئلة التي يوجهها الطلاب إلى أساتذتهم، وقد رحل القالي إلى

---

(١) عبدالله خورشيد: مرجع سابق: ص ٢٣٠.
(٢) معجم الأدباء: ٥/ ٩٦ وبغية الوعاة: ص ١٩.
(٣) الزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٣٦٨ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ١ / ٢٨٠.
(٥) معجم الأدباء: ٢ / ٣٠٣ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٨٦ وسير النبلاء: ١ / ٧٤ وإنباه الرواة: ١ / ٢٠٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٢١.

المغرب بعد أن تأدب ببغداد بهدف الحصول على علم آخر من العلوم. ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب، ت: ٣٨٥هـ كان من العلماء المهتمين بالقراءة من الطلاب ففي رواية أبي سعيد السيرافي: شيخ البلد بأصبهان، وفرد الأدب بها، قال رفعني الصاحب إلى جنبه وابتدأ فقرأ عليّ من كتاب المقتضب باب ما يجري وما لا يجري(١).

ومن خلال هذا العرض لطلاب وعلماء القرن الرابع الهجري، الذين اعتمدوا على القراءة كواحدة من طرق التعليم، حتى يحصل عن طريقها المتعلم على الإجازة فلم يكن في ذلك العصر درجات علمية يحصل عليها من أتم دراسته، بعد امتحان وإنما الامتحان كان امتحانًا للرأي المحيط به من علماء ومتعلمين، فمن أنس من نفسه القدرة على أن يجلس مجلس المعلم جلس، وتعرض لجدل العلماء ومناقشاتهم وتجبيههم.

ومن هؤلاء المتعلمين والعلماء في القرن الخامس الهجري:

- أبو الحسن، محمد بن جعفر المعروف بابن النجار، ت: ٤٠٣هـ كان من مُجَوِّدي القراء من أهل الكوفة، كان يُقرئ لحمزة والكسائي، ولقي أحمد بن يونس، وروى قراءة عاصم عنه عن الأعمش عن أبي بكر بن عياش بن عاصم، وعنه أخذ الحسن النقار بالكوفة ت: ٣٤٣هـ(٢). ومن الذين تعلموا عن طريق القراءة:
- أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي ت: ٤٢١هـ، الذي قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي، وتتلمذ له، ثم قُرش عليه بعد ذلك(٣).

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٧١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١١٥ والثعالبي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٥.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٨١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٦٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٧١.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١٩، وإنباه الرواة: ١ / ١٠٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢١٢.

ومن طلاب القرن الخامس الهجري الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو عبدالعزيز بن الحارث الملقب بالحنبلي المقرئ ت: ٤٨٨هـ الذي قرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي، وأبي عمر مهدي وأبي الحسين بن بشران وجماعة، وقال ابن سكرة قرأت القرآن ختمة وروى عنه ببغداد أبو الحسن بن البطي، وآخر من روى عنه إجازة أبو طاهر السلفي(١). وفي القرن السادس الهجري ظهر كل من:
- أبو بكر محمد بن أحمد الشيرازي الملقب بالقطان ت: ٥١١هـ الذي قرأ على ابن فضال المجاشِعيُّ القيرواني وعلى غيره، ومن نبوغه وتقدمه قرأ عليه أبي محمد بن الخشاب وعنه أخذ النحو، فكان أبو بكر مؤدبه ومخرّجه(٢).

ومنه لاحظ الباحث أن الطلاب المتعلمين كانوا يتخذون من أساتذتهم ومعلميهم القدوة لهم، فكان ابن القطان مولعًا بأستاذه المحولي، وبغيره من العلماء.

- أبو الحسن علي بن عبدالجبار الهذلي التونسي ت: ٥١٩هـ بالإسكندرية، الذي قرأ عليه الكثير من الطلاب، وفي رواية المرتد البغدادي قال: رأيت ابن عبدالبر بصقلية وعزمت على أن أقرأ عليه، لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، غير أني لم أقرأ عليه فقد أحوجتني الضرورة إلى الخروج من صقلية(٣).

أما ابن رشيق الأزدي فيقول: قرأت على أبي القاسم الكثير من العلوم(٤).

- الحسين بن محمد الملقب بالدباس البارع ت: ٥٢٤هـ الذي قرأ القرآن على أبي علي بن البناء، وأقرأ خلقًا كثيرًا فقد قرأ عليه بالروايات أبو جعفر الواسطي الضرير(٥).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٣٤ وطبقات المفسرين: ص ٨٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٦.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٨٢ وإنباه الرواة: ٢ / ٥٨٩ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٦٨.
(٣) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١١٧.
(٤) بغية الوعاة: ص ٣٤٠.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٩٤ والوافي بالوفيات: ١١ / ١٠٦ وإنباه الرواة: ١ / ٣٢٨ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٥٨.

- أبو الحسن علي بن عرّاق الصناري الخوارزمي ت: ٥٣٩هـ الذي قرأ الأدب على أبي علي الضرير النيسابوري، و قرأ الفقه بخوارزم على الإمام أبي عبدالله الوبريّ، ثم ارتحل في الفقه إلى بخارى فتفقه على مشايخها(١).

وكانت القراءة التي تأخذ عن العلماء غير المتصفين بحسن الاعتقاد وصحة المذهب لا تجاز ففي ترجمة ياقوت لأبي الحسن علي بن عبدالله العقيلي الأنطاكي ت: نيف ٥٤٠هـ قال السمعاني: قرأت عليه بحلب شيئًا من الحديث وخرجت من عنده فرآني بعض الصالحين، فأنكر عليّ ذلك، وقال أنه يقول بالنجوم، ويرى رأي الأوائل، فلا تُجاز قرأته(٢)

- أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعري ت: ٤٤٩هـ الذي قصد أبا الحسن علي بن الربعي ليقرأ عليه الكتب، فدعاه أبو الحسن بلقب يكرهه فخرج مغضبًا ولم يعد إليه(٣).

ومنه لاحظ الباحث أن على المعلم أن يكون ثاقب البصر، وأن يترك الألقاب التي تمس كرامة المتعلم، كالأعمى والأعرج، والأبرص وغيرهم من الألقاب التي تشميز منها النفس، ومن المناداة بها، وقد رأينا أبا العلاء المعري يترك أستاذه ومجالسه والتعليم من أجل مناداته إياه بلقب بكرهه.

- أبو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن شرف القيرواني ت: ٤٦٠هـ الذي قرأ النحو على أبي عبدالله القزاز، و قرأ الأدب على أبي إسحاق الحُصري، و قد جعله ذلك يكتب كتاب أبكار الأفكار وهو مختارات جمعها من شعره ونثره، وله مقامات عارض بها البديع الهمذاني ، وقد ذكر الزركلي أنها مطبوعة نشرها السيد حسن حسني عبدالوهاب في مجلة المقتبس باسم رسائل الانتقاد ثم نشرت في رسالة منفردة باسم أعلام الكلام وهذا من كتبه المفقودة، وقد ذكرها ياقوت باسم رسالة الانتقاد وهو الأصح(٤). ومن هؤلاء المهتمين بطريقة القراءة:

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٨٥ وبغية الوعاة: ص ٣٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣١٢.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٣ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٣١.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٤٠٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٩٠ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٧٢ وسير النبلاء: ١١ / ١٥٦.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٤٣٥ وبغية الوعاة: ص ٤٦ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٢ / ٢٠٤، ٣ / ٧٩ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ١٣٨.

- أبو جعفر محمد بن إسحاق الملقب بالقضي البحاثي ت: ٤٦٣هـ الذي كتب نسخة من غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، وقرأها على جدي الشيخ عبدالغافر بن محمد الفارسي، قراءة سماع، وعلى الإمام الحاكم بن دوست قراءة تصحيح وإتقان ولم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبين ولا أصح منها، وهي الآن بخزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم(١).
- أبو القاسم الفسوي ت: ٥٦٧هـ بطرابلس، كان قد قرأ على الشريف أبي البركات الكوفي وأقرأ النحو بحلب، وأفاد أهلها، عمّر إلى أن قرأ عليه الشريف أبو البركات(٢).
- أبو نصر محمد بن أحمد الملقب بالإمام الوالد، ت: ٣٨٤هـ الذي قرأ القرآن على جماعة كثيرة منهم بمرو أستاذه أبي الحسين الدهان المقرئ، وقرأ بنيسابور على أبي محمد الخبازي، وأبي عثمان المعَدّل، وببغداد على أبي الحسن بن الحمامي، ثم اهتم بتعليم غيره عن طريق القراءة، ولكن مقابل أجرة(٣).

وذكر ياقوت من بين علماء القرن السادس الهجري الذين درسوا على طريقة القراءة:

- أبو محمد دعوان بن علي الملقب بالضرير المقرئ ت: ٥٤٢هـ الذي كان من أعيان القراءة ببغداد متميزًا بالقراءة، حسن الطريقة، قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهر بن سوار وابن الجراح، وابن السَّيْبيِّ، وقرأ عليه القرآن خلق كثير(٤).
- ابن القيسراني الحلبي ت: ٥٤٨هـ الذي قرأ الأدب على توفيق الدمشقي، وابن الخياط(٥). وقد قرأ السمعاني على ابن أبي جرادة بحلب شيئًا من الحديث(٦).

(١)معجم الأدباء:٥/ ٤٣٥، ٥ / ٢٢٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٤١ واللباب: ١ / ٩٩ والوافي بالوفيات: ٢ / ١٩٧ - ١٩٩.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٥٦ ومعجم المؤلفين: ٤ / ١٩٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٦٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١٦ واللباب: ٣ / ٣٦ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٩٥.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٣٢١.
(٥) المرجع السابق: ٥ / ٤٥٣ ومعجم المؤلفين: ١٢ / ٧٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ٩٣.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٣ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٣١.

- أبو منصور محمد بن علي العتابيّ البغدادي ت: ٥٥٦هـ الذي قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري، وقرأ اللغة على أبي منصور الجواليقي، ثم تصدّر للإقراء، ليقرأ الناس عليه(١).
- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي قرأ نحو ابن فضال على أبي جعفر المقرئ، وقرأ عليه فصلاً من كتاب المقتصد، والأمثال لأبي عبيد، والأمثال للميكالي وانتقل إلى مرو فقرأ على تاج القضاة أبي سعيد يحيى بن صاعد ت: ٣١٨هـ(٢).
- أبو محمد عبدالله بن أحمد الملقب بالخشاب، ت ٥٦٨هـ الذي قرأ اللغة العربية على أبي علي الحسن بن علي المحولي، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، وكان مداومًا القراءة على المشايخ في علو سنه، ومع نبوغه وتقدمه في العلم أقرأ الناس مدة وتخرج به جماعة في علم النحو فكان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى قيل أنه في درجة أبي علي الفارسي، وكان الخشاب يكتب المصنفات بأجرة فقد: وصله ألف دينار مقابل كتاب شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة(٣). ومن هؤلاء العلماء:
- أبو الحسن علي بن عساكر الملقب بالبطائحي ت: ٥٧٢هـ الذي قرأ القرآن على أبي العز الواسطي والبارع ابن الدباس، والمرزوقي، وأبي محمد بن بنت الشيخ، وقرأ النحو على البارع، وقد قرأ عليه الناس مدة، وحدّث الكثير(٤). وعاصره سعد بن محمد الملقب حيص بيص ت: ٥٧٤هـ(٥).
- أبو العباس الخضر بن ثروان، الملقب بالضرير التُّوماني ت: ٥٨٠هـ الذي قرأ اللغة على ابن الجواليقي، والنحو على ابن الشجري، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي(٦).

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٧٨ وإنباه الرواة: ٣ / ١٨٨.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩٠ - ٨ / ١٥٠.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٤٤٣.
(٤) المرجع السابق: ٤ / ١٨٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٣٣.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٣٦٨.
(٦) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٤ ونكت الهميان: ص ١٤٩.

وقد عاصره أبي محمد عبدالله بن بَرِّيّ ت: ٥٨٢هـ الذي قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر، وقصده الطلبة من الآفاق وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص(١).

ومن الطلاب الذين درسوا وتعلموا عن طريق القراءة في القرن السابع الهجري كما أوردهم ياقوت في كتابه معجم الأدباء:

- أبو السعادات المبارك بن محمد الملقب مجدالدين والمعروف بابن الأثير ت: ٦٠٦هـ الذي قرأ الأدب على ابن الدهان البغدادي، وعلى أبي بكر بن سعدون المغربي القرطبي، وأبي الحزم مكي بن الريان ت: ٦٠٣هـ(٢). وكانت القراءة تستخدم لمراجعة الأعمال التي يكتبها الطلاب، فقد كتب " أبو الفضل أحمد بن أبي بكر الملقب بحمدويه ت: ٦٢٠هـ الكثير من الكتب بخطه، ثم قرأها على مشايخه لمراجعتها(٣). ومن هؤلاء الطلاب:
- أبو علي الحسن بن أبي المعالي الملقب بالباقلاني النحوي ت: ٦٣٧هـ الذي قرأ العربية على أبي البقاء العُكبريّ، وقرأ اللغة على محمد بن المأمون وغيره، وقرأ الكلام والحكمة على الإمام نصر الدين الطوسي، وأخذ فقه الحنفية عن ابن الدمغاني الحنفي ت: ٦٣٥هـ ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي(٤).
- الحسن بن محمد الصنعاني النحوي ت: ٦٥٠هـ الذي كان يقرأ عليه أهل اليمن فكان يُقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي، وكان معجبًا بهذا الكتاب وبكلام مصنفه(٥).
- أبو عبدالله محمد بن عبدالله الملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي قرأ القرآن على ابن غلبون والنحو على أبي الحسن بن الداني، وابن الطيب النحوي، والشَّلوْبينيّ، والكندي وقرأ الأصول على ابن دقماق والعميدي، وقرأ الخلاف على مُعين الدين الحاجَرْمِيِّ(٦).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٤٤٨ وخزانة الأدب: ٢ / ٥٢٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٤٩ ومعجم المؤلفين: ٨ / ١٧٤ وسير النبلاء ١٣ / ١١٢، ١١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٧٢.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٣١٢ ومعجم المؤلفين: ١ / ١٧٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٩٨ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٧٥ والزركلي: مرجع سابق: ٨ / ٢١٧.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٩٤ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٧٩.
(٦) معجم الأدباء: ٥ / ٤٣٩ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٣٣.

والخلاصة: بعد هذا العرض تبين للباحث أن القراءة كانت من الطرق التربوية التي اعتمد عليها الطلاب المتعلمين في الحصول على العلم من العلماء، والقراءة أو العرض: هي قراءة الطالب أمام المعلم، أو مراجعة المعلم للنصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها، و هي تتيح للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب لمادة التعليم.

ولاحظ الباحث أيضًا أن القراءة لم يقتصر استخدامها في العلوم الدينية فقط وإنما اعتمد عليها كطريقة يتعلم بها الطلاب العلوم اللغوية، وكان الطلاب ينتقلون من بلد إلى آخر للقراءة على علماء هذا البلد، وأحيانًا كان يحصل العلماء على أجرة مقابل القراءة لكتبهم أو كتب غيرهم. وبذلك فإن ياقوت أرخ لطريقة القراءة كواحدة من طرق التعليم على مر القرون الهجرية الست هذا لأولى، وبه أصبح معجم الأدباء أحد مصادر تاريخ التربية المهمة.

رابعًا: الحفظ والاستظهار:

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن الحفظ يعد واحد من الطرق التعليمية التي اعتمد عليها الطلاب في تحصيل العلم، ورغم ما يشوب هذه الطريقة من سلبيات إلاّ أنها كانت تتناسب والقرون هذا لتي أرخ لها ياقوت. وبالرجوع إلى تراجم العلماء التي ذكرها ياقوت تبين للباحث أن طريقة الحفظ والاستظهار ظهرت بوضوح مع طلاب القرن الثالث الهجري ومن بين هؤلاء الطلاب:

- الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي كان يحظى بقدرة فائقة على الحفظ وسرعته، ففي رواية ابن جبرية النيسابوري عن الربيع قال: قال الشافعي: كنت أسمع المعلم يُلّقن الصبي الآية فأحفظها وكنت وهم يعلمون طلابهم القرآن، ما أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم أكون قد حفظت ما أملى[(١)]. ولم تقتصر هذه الطريقة على حفظ القرآن الكريم والحديث فقط،إنما تتعداه إلى حفظ كتب العلماء، ومن الطلاب الذين اهتموا بحفظ كتب العلماء:

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩١ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٦.

- الواقدي ت: ٢٠٧هـ الذي قال: ما من أحد إلاّ وكتبه أكثر من حفظه، وكان حفظي أكثر من كتبي، وفي رواية يعقوب بن شيبة قال: كان للواقدي حِمْلُ كتبه على عشرين ومائة وقْر (الحمل الثقيل)، وقيل: كان من كبار النحاة وأهل اللغة، وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد، وعنه أخذ أبي العباس محمد بن زيد، وابن دريد، وكان الرياشي يحفظ شعر مالك بن أسماء ت: ١٠٠ هـ(١).
- أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير البغدادي ت: ٢١٧هـ الذي قال: سمعت شعر الكميت (شاعر يتعصب لآل البيت) في مجالس ابن الأعرابي، فحفظت بعرضه، وحفظت النكت التي أفاد منها(٢).
- أبو عثمان الرشاشي ت: ٢٧٢هـ الذي كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب ويضرب المثل بفصاحته، فكان من أهل الرواية والحفظ والشعر والحديث(٣).
- أبو العباس ثعلب ت: ٢٩١هـ كان مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة، فقد فضل أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور، وكان لا يمس بيده كتابًا، عند تلقي الرجال التعليم منه اعتمادًا على حفظه، بينما كان السكري غير مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال(٤).

وقد استخدم الطلاب طريقة الحفظ لكي يتفوق كل منهم على أساتذته، بحفظ هذه العلوم:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الملقب كيسان ت: ٢٩٩هـ الذي أولى اهتمامه لحفظ علم النحو فكان يحفظ المذهبين (الكوفي والبصري) في النحو، وقد أخذ عن المبرد وثعلب، وربما كان التلميذ يتفوق على أستاذه فقد كان كيسان أنْحَى (كثير النحو) من الشخين يعني

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٤٤٢ وتهذيب التهذيب: ٥ / ١٢٤، ١٢٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٢٤٦.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٣٥٢ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢١٤.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٢٧٩.
(٤) المرجع السابق: ٢ / ٥٨ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٨ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٠٣ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٦٧.

المبرد وثعلب(١). واستخدم الطلاب طريقة الحفظ لدواوين العرب في القرن الرابع الهجري ومن هؤلاء:

- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت: ٣٢١هـ الذي قال عنه الخطيب البغدادي: ما رأيت أحفظ من ابن دريد، فقد كان واسع الحفظ، كانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها من حفظه، وما رأيته قط قُرئ عليه ديوان شاعر إلاّ وهو يسابق إلى روايته لحفظه. وفي رواية الميكالي قال: أملى عليّ الدُّريدي كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظًا في سنة ٢٩٧هـ فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب(٢).
- أبو جعفر أحمد بن عبدالله الكاتب ت: ٣٢٢هـ الذي حدّث بكتب أبيه كلها بمصر حفظًا ولم يكن معه كتاب، وقد عُرف فضله بمصر فأقبل عليه طلاب العلوم والآداب(٣).

ويلاحظ الباحث هنا أن ملكة الحفظ كانت من الطرق التربوية القويمة في ذلك العصر، فابن قتيبة لم يصل إلى ما وصل إليه من فضل وغزارة علم إلاّ بحفظه لكتب أبيه التي عددناها بإحدى وعشرين كتابًا في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار.

- أبو بكر محمد بن القاسم الملقب بالأنباري ت: ٣٢٧هـ الذي كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا بأسانيدها، وقد سئل الأنباري عما يحفظه فقال: ثلاثة عشر صندوقًا أي لو وضعت هذه الكتب التي يحفظها في صناديق لملأت هذا القدر، أخذ ذلك عن والده، فكان أبو بكر آية من آيات الله في الحفظ، وكان أحفظ الناس للغة والشعر(٤).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٩٣ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٣٢ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢١٣ وبغية الوعاة: ص ٨ / والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٨ والمنتظم: ٦ / ٢٦١ والأنباري: مرجع سابق: ص ٣٢٢ وسير النبلاء: ١٠: ٢٢ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٥.

(٣) معجم الأدباء: ١ / ٣٩٥ وتاريخ بغداد: ٤ / ٢٢٩ وإنباه الرواة: ١ / ٤٥ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٥.

(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٤١٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٣٣٤.

- التنوخي ت: ٣٤٢هـ الذي رحل إلى بغداد في حداثته، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة وكان يحفظ سبعمائة قصيدة ومقطوعة، وله كتاب يحتوي على رؤوس ما يحفظه من القصائد يقع في مائتين وثلاثين ورقة أثمان، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئًا عظيمًا(١).

وكان التنوخي يحفظ ما اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة، وكان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة قدوة، وفي حفظ علم العروض، وكان يحفظ ويجيب فيما يفوق على عشرين ألف حديث(٢). ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا عن طريق الحفظ:

- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥هـ الذي لم يُر قط أحفظ منه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة، وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة، وكان المحدثون يوثقونه(٣).
- أبو عثمان سعيد بن هاشم ت: ٣٧١هـ الذي حفظ ألف سفر كل سفر مائة ورقة، وكان هو وأخوه إذا استحسنا شيئًا غصباه صاحبه حيًا كان أو ميتًا لا عجزًا منهما ولكن كذا كان طبعهما(٤).

ومنه لاحظ الباحث أن هذا الصنيع يتنافى والأمانة العلمية التي توجب على العالم عدم نسبة عمل غيره إليه، مثل ما قد يحدث في الكتابات العلمية بأن يُحذف اسم المؤلف ويوضع اسم هذا المُدعي عمل غيره. وقد عاصره من هؤلاء الطلاب:

- أبو الفرج محمد بن أحمد الملقب بغلام ابن درستويه ت: ٣٨٧هـ الذي كان يحفظ خمسين ألف بيتًا من الشعر شواهد للقرآن الكريم، وصنف كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٢٤٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٥٣.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦١ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٥٠٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٢٤.
(٣) جورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٣٧٤ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ١ / ١٧٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٠٣ واللباب: ١ / ٣٣٩ والثعالبي: مرجع سابق: ١ / ٤٧١.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ١١٨ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٢٦.

وقد تعلم عن طريق الحفظ من الطلاب في القرنين السادس والسابع الهجريين:

- أبو الحسن الهذلي التونسي ت: ٥١٩هـ بالإسكندرية، كان يجيد الحفظ وينشأ القصائد التي تبلغ إحدى عشر ألف بيت على قافية واحدة من حفظه، ولذلك قال القيرواني: لم أر قط أحفظ للعربية واللغة من الهذلي(١).
- البيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي قال حفظت في عهد الصبا كتاب الشادي للهادي وكتاب السامي في الأسامي وكتاب المصادر للزوزني وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وكتاب غريب القرآن للعزيزي وكتاب المنتحل للميكالي، وأشعار المتنبي، وكتاب الحماسة لأبي تمام وكتاب المجمل في اللغة وكتاب تاج المصادر لأبي جعفر المقرئ(٢)

ومن طلاب العلم الذين اعتمدوا على الحفظ في أخذهم عن العلماء في القرن السابع الهجري:

- أبو سليمان داود بن أحمد الملقب بالضرير المهلبي ت: ٦١٥هـ ببغداد كان بارعًا في الأدب مولعًا بشعر المعري، يحفظ منه جملة صالحة(٣).

تعقيب: لاحظ الباحث من خلال هذا العرض لبعض طرق التعليم التي ذكرها ياقوت في كتابه معجم الأدباء أن هذه الطرق كانت متعددة وأخذت صورًا كثيرة مثل التلقين: وهو من الأساليب الشائعة، وقد عبر عنه بالسماع من جانب التلاميذ بحيث كثر إيراد هذه الكلمة في ترجمات أكثر من أن تعد، فعلى وجه التقريب ما من عالم أو متعلم ألاّ وتقرا أنه سمع كذا من فلان وقد عرضنا الكثير من هذه النماذج في صلب هذه الدراسة، ومن هذه الطرق الإملاء: وهي تفيد في تقييد العلم بحيث يستطيع التلميذ أن يرجع إلى الموضوع عندما يريد فيتعلمه، وكانت هذه الطريقة لها أهميتهغا بطبيعة الحال في مجتمع لم يعرف الطباعة بعد، ولذلك نجد عددً غير قيل من الكتب العربية تسمى الأمالي، وقد عاصرت هذه

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٩٦.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤ والوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٨ - ٧٠ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩٠.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣١٢ ونكت الهميان: ص ١٤٩ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٦.

الطريقة بعض الطرق الأخرى مثل القراءة حيث كان بعض المعلمين يطلبون من الطالب أن يقرأ أمامه فيصحح له ما يقرأ ويشرحه،وقد أوضح ياقوت أن هذه الطريقة كانت من الطرق الشائعة بين المتعلمين وأكثر من تراجم الطلاب والمعلمين الذي اعتمدوا على هذه الطريقة في التعليم.

ومن هذه الطرق أيضًا الحفظ: فقد كان الحفظ بطبيعة الحال هو أهم الطرق وألأشهرها وأكثر شيوعًا واستخدامًا ولا عجب في ذلك فالمجتمع الذي عاش فيه هؤلاء تسوده الأمية، ولا مطابع هناك، ووسيلة النشر الوحيدة هي النسخ وهي عملية صعبة ومكلفة فكان الاعتماد على الذاكرة ففيها يودع الكتاب، فكأنها توفر لصاحبها نسخة منه ونتبين شيوع الحفظ من كثرة الإشارة إليه لدى الشخصيات التي ترجم لها ياقوت الحموي في معجمه، وكانت المجالس تعتمد في بعض الأحوال لاختبار الحافظ أمام جمع غير قليل من الناس.

خامسًا: الرحلة.

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن الكثير من العلماء وطلاب العلم أفادوا من الرحلة إلى العلماء في مختلف الأمصار، وكذلك الرحلة إلى المكتبات الإسلامية حتى يطلعوا على أمهات الكتب التي تزخر بها هذه المكتبات، ولم تكن الرحلة قاصرة على تعلم العلوم الدينية وفقط، وإنما كانت لتعلم الكثير من أنواع العلوم المختلفة ففي القرن الثالث الهجري تعلم عن طريق الرحلة:

- أبو عمر حفص بن عمر ت: ٢٤٦هـ الذي رحل في طلب القراءات فقرأ بالحروف السبعة وبالشواذ، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي، وقرأ العربية على أبي محمد اليزيدي فقد حصّل أبو عمر عن طريق الرحلة الكثير من علم العلماء(١). وقد عاصره من العلماء:

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٢٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٤.

- أبو داود سليمان بن معبد الملقب بالمحدث الحافظ ت: ٢٥٧هـ الذي رحل إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وقدم بغداد وذاكر الحفاظ بها، وأخذ بها عن الأصمعي والنضر بن شُمَيل وبهذه الرحلة حصل على معرفة تامة بالعربية واللغة(١). ومنهم السهمي ت:٢٩٦هـ(٢).

وكان اهتمام طلاب الحديث بالرحلة أكثر من غيرهم من طلاب العلم فقد ظهر من بين طلاب العلم في القرن الرابع الهجري:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ الذي رحل إلى مصر، ولم تكن رحلته هذه من فراغ فهو يعلم فضل الرحلة في طلب العلم فقد رحل إلى مصر فوصلها عام ٢٥٣هـ وأقام مدة بالفسطاط يسمع العلماء، ثم عاد إلى الشام، فلما قضى منها أربًا علميًا رجع إلى مصر في عام ٢٥٦هـ(٣). وفي فضل الرحلة لطلب الحديث ذكر ابن عبدالبر في جامعه في باب ذكر الرحلة لطلب العلم قوله: أخبرنا هدية ويزيد بن هارون قالا: حدثنا همام قال سمعت عبدالله بن محمد يحدث عن جابر قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرًا فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرًا حتى قدمت الشام فإذا عبدالله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابرًا على الباب. فخرج إليّ فقلت له: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه أنا منه، فذكره له(٤).

ومن هنا كانت رحلة الطبري إلى الأمصار الإسلامية لأنها متحدة ومتماسكة رغم تباعد أقاليمها، ووعورة الطرق فيما بينها، وهكذا كانت المملكة الإسلامية في سهولة انتقال العلماء من مكان إلى مكان، فترى العالم من المشرق فإذا هو في الأندلس، ومن المغرب فإذا هو بالعراق. ومن طلاب القرن الرابع الهجري الذين تعلموا عن طريق الرحلة

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٩ ومعجم المؤلفين: ٤/ ٢٧٦ وتهذيب التهذيب: ٤ / ٢٢١ - ٢٢٢.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٣٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٦٣.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢٤٤ وأحمد محمد الحوفي: مرجع سابق: ص ٣٧.
(٤) ابن عبدالبر: مرجع سابق: ص ١٥١.

- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت: ٣٢١هـ الذي رحل إلى البصرة فتعلم بها اللغة، وأسعار العرب، ثم صار إلى علماء عمان فأقام بها مدة تبلغ اثني عشر عامًا، ثم عاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس في جزيرة ابن عمر فسكنها مدة، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات(١). ولم يقتصر ابن دريد في رحلته على تعلم العلم وإنما هدف إلى تقلد بعض المناصب التي يحصل من خلالها على أجرة فقد " قلده آل ميكال ديوان فارس واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين دينارًا(٢).
- أبو الفضل الهروي ت: ٣٢٩هـ الذي رحل إلى أبي العباس ثعلب بالعراق فدخل عليه مدينة السلام، وعرّفه بقصده إياه، فاتخذ له مجلسًا في النوادر التي سمعها من ابن الأعرابي، حتى سمع الكتاب كله منه(٣). ومن الطلاب الذين اتخذوا من الرحلة طريقًا للتعليم:
- أبو عمر الصَّيفي الأندلسي المنتجلي ت: ٣٥٠هـ الذي رحل إلى ما المشرق فسمع بمكة من أبي جعفر المُقبليّ، وأبي بكر المنذر صاحب الإشراق، وابن الأعرابي، وسمع بمصر على جماعة منهم أبو عبدالله محمد بن الربيع، ورحل إلى القيروان للأخذ عن أحمد بن نصر ومحمد بن اللباد، ثم رحل إلى الأندلس وبها صنف تاريخًا في المحدِّثين(٤).
- أبو الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت: ٣٥٦هـ الذي رحل إليه طلاب العلم من الأندلس ففي رواية أبو علي المحسن قال: كان معنا في مجلس أبي الفرج شيخ أندلسي قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج، وكان أبو الفرج يُكرمه ويذكر ثقته(٥).

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٢٩٦ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٥ والسبكي: مرجع سابق: ٢ / ١٤٥.
(٢) جورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ١٨٨ ولسان الميزان: ٥ / ١٣٢.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٧٨ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ٢ / ١٨٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٧١.
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٨ / ٨٩ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ١٩٦.
(٥) معجم الأدباء: ٤ / ٦٧ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٧٨ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٨.

ومنه لاحظ الباحث أن طلاب العلم كانوا إذا استقر بهم المقام في بلد من البلدان التي بها العلماء، كان الطلاب يلازمون هؤلاء العلماء من أجل اكتساب المعرفة والتزود من العلم.

ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق الرحلة في القرن الرابع الهجري:

- أبو عبدالله بن خالويه: ٣٧٠هـ الذي رحل إلى بغداد طالبًا للعلم سنة ٣١٤هـ فلقي بها أكابر العلماء، وأخذ بها عنهم، ثم رحل إلى الشام واستوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر وأدرك بها جُلّة من العلماء، ومع تقدمه ونبوغه في مجالات علمه قصده المتعلمون فكانت الرحلة إليه من الآفاق، وآل حمدان يدرسون عليه ويقتبسون منه، وفي رواية أبي عمر الداني قال: جاء رجل إلى ابن خالويه فقال به: أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لساني، فقال له: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني(١). وقد عاصره من هؤلاء الطلاب:
- الخليل بن أحمد السجزي ت: ٣٧٨هـ الذي كان شيخًا لأهل الري في عصره، وصاحب فنون من العلوم طاف بلادًا كثيرة فقد رحل إلى نيسابور ودمشق لطلب الحديث، وقد رحل إلى الري والعراق والحجاز، ثم عاد إلى نيسابور محدثًا ومفيدًا عام ٣٥٩هـ، وله قصائد تحدث فيها عن فضل الرحلة والتنقل في الرزق والعلم فقال:

إذا ضاق باب الرزق عنك ببلدة ... فثم بلادٌ رزقها غير ضيِّقِ
وإياك والسُّكنى بدار مزلة ... فتسقى بكأس الذِّلةِ المتدفق
فما ضاقت الدنيا عليك بِرُحْبِها ... ولا بات رزق الله عنك بِمُغلقِ(٢)

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٩٩ والسبكي: مرجع سابق: ٢ / ٢١٢، ٢١٣ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٣١٠وإنباه الرواة: ١ / ٣٢٥ والوافي بالوفيات: ١١ / ٥٧، ٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٣١.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ٣٠٣ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٩١ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٤ / ١٥٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٣١٤.

- أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني ت: ٣٩٢هـ كان كثير الرحلات فقد طوَّف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس من العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره(١). ومن طلاب العلم الذين اهتموا بالرحلة في ذلك القرن:

- أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان الهمذاني ت: ٣٩٨هـ كان محبًا للرحلة فقد رحل في طلب العلم وفارق وطنه إلى حضرة الصاحب بن عباد، ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمره، ثم رحل عن حضرة الصاحب موليًا وجهه شطر جرجان، فنزل بأسرة معروفة بالثراء وتشجيع العلماء والأدباء(٢).

ومن الطلاب المهتمين بالتعلم عن طريق الرحلة في القرن الخامس الهجري:

- أبو الحسين محمد بن الحسين، ت: ٤٢١هـ الذي أخذ عن خاله علم العربية، وطوّف في الآفاق، فقد أوفده خاله على الصاحب بن عباد بالري، ثم رحل إلى خراسان، ونزل بنيسابور، ثم رحل إلى مكة وجاورها، ثم عاد منها إلى غزنة، ورجع إلى نيسابور ثم رحل إلى اسفراين وأخذ بكل منها عن علمائها، واستقر في جرجان مدة فقرأ عليه أهلها ومنهم عبدالقاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه، وقد توفي بها(٣).

- أبو علي الحسين بن سعد الملقب بالآمدي اللغوي ت: ٤٤٤هـ الذي رحل إلى بغداد فأخذ بها عن أبي علي الفراء، وأبي طالب بن غيلان، ورحل إلى الشام فأخذ عن جماعة من العلماء، ثم استوطن أصبهان ليعلم بها، وبها توفي(٤).

وقد تكون الرحلة إلى البلدان بهدف نشر العلم، وليس للأخذ عن العلماء فقد ذكر ياقوت في ترجمة الحسين بن محمد المعروف بابن جني ت: ٤٥٦هـ أنه رحل من الأندلس

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٤ / ١٥٩ والسبكي: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٨ والثعالبي: مرجع سابق: ٣ / ٢٣٨ وطبقات المفسرين: صس ١٧٣ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٠٠.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٣٦٧ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٠٩ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ٣٤٠ وشوقي ضيف: المقامة. ط دار المعارف د.ت ص ١٣ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١١٥.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٣٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٩٩ والوافي بالوفيات: ٣ / ٩ وبغية الوعاة: ص ٣٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ١٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٣٨.

إلى مصر، ثم نزل بالقاهرة، ثم رحل إلى اليمن، واتصل بأميرها سنة ٤٤٢هـ فبعثه إلى المنتصر بالله (معد بن الظاهر علي)، فحظي عنده بدنيا عريضة وإقبال من المتعلمين وصنف بها كتاب زيج مختصر أهداه لأمير اليمن الصليحي(١).

ومن طلاب العلم الذين تعلموا عن طريق الرحلة في ذلك القرن:

- أبو غالب محمد بن أحمد المعروف بابن بشران ت: ٤٦٢هـ الذي رحل إلى العلماء للأخذ عنهم، وقد اتخذ لنفسه منهجًا جمع فيه بين الرواية والفهم، وشدة العناية، وقد أخذ العلم عنه خلق كثير مثل أبو الحسين الكاتب صاحب أبي علي الفارسي، فقد كانت إليه الرحلة لطلب العلم والتزود من المعرفة في زمانه فهو عين وقته وأوانه، ويقول ياقوت أن ابن بشران له مؤلفات غير أنها ذهبت على طول المدى ذكر منها كتاب فضائل بيت المقدس قال الزركلي: أنه مخطوط في دار الكتب مصورًا عن نسخة كتبت سنة ٥٤٣هـ(٢).

ومن هؤلاء الطلاب في القرن الخامس الهجري الذين تعلموا عن طريق الرحلة:

- أبو نصر محمد بن أحمد الكركانجي ت: ٤٨٤هـ الذي رحل إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طلب علم القرآن، وتعلم القراءة على المشايخ إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره في هذا العلم(٣).
- أبو الوليد سليمان بن خلف الملقب بالباجي ت: ٤٩٤هـ بالمرية، الذي رحل إلى المشرق فأقام بالحجاز ملازمًا للحافظ أبي ذر المحدث، وسمع من ابن سحنويه، وابن محرز والمُطوِّعي، ورحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام سمع فيها من ابن الدامغاني الكبير ت: ٤٧٨هـ، وابن عمروس، وأخذ عن الخطيب البغدادي، و رحل إلى الموصل فأقام بها عامًا أخذ فيه عن السمعاني علم الكلام، ورحل إلى الشام فأخذ بدمشق وحلب عن

(١) معجم الأدباء: ٣ / ١٩٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٥٤.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٤٧ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٦٧ ولسان الميزان: ٥ / ٤٣.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٧٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٩٥ واللباب: ٣ / ٣٦.

السمسار، وقد تقدم الباجي في العلوم عن طريق الرحلة إلى العلماء، ولذلك فقد سمع منه خلق كثير منهم: الصَّدَفِيُّ المعروف بابن سكرة الصدفي ت: ٥١٤هـ، والجَيَّاني: الحسين بن محمد الغساني الأندلسي ت: ٤٩٨هـ(١).

ومما سبق لاحظ الباحث أن الطلاب اهتموا بالرحلة إلى العلماء، كواحدة من الطرق التعليمية التي يتعلّم من خلالها هؤلاء الطلاب، واكتسبوا المزيد من علم العلماء في مختلف أنواع العلوم، دون الاقتصار على تعلم العلوم الدينية فقط، وبالرحلة كان الأمراء ينزلون العلماء منزلة خاصة لنشر علومهم بين أهل البلدة التي يسكنها هؤلاء العلماء.

وفي القرن السادس والسابع الهجريين استخدم الطلاب طريقة الرحلة في الحصول على المعرفة ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١هـ الذي رحل في طلب العلم إلى العراق فل سنة ٥٢١هـ وأقام بها خمس سنين، رافق خلالها السمعاني ولقي الكثير من المشايخ بها(٢).
- أبو محمد سعد بن الحسن النُّوراني الحرّاني ت: ٥٨٠هـ الذي رحل إلى الشام والعراق ومصر، وخراسان، وسكن بغداد مدة أخذ فيها عن الجواليقي وغيره(٣).
- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت: ٦٠١هـ الذي إلى بغداد وبها تأدب ثم رحل إلى الموصل والشام، ويقول ياقوت: وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة، الذي ساعده على جمع كتاب الحماسة(٤).
- محمد بن محمود الملقب بالحافظ المؤرخ البغدادي ت: ٦٤٣هـ الذي رحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر، وهراة ونيسابور، فسمع الكثير من العلماء، وحصَّل الأصول

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٤ والتهذيب: ٦ / ٢٤٨ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٤٨ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٤٣ ومعجم المؤلفين: ٤/ ٤٤وتذكرة الحفاظ: ٣٠/٤وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٦٥ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٢٥.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤١ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٦٩ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٣.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣٦٤.
(٤) معجم الأدباء: ٤ / ٢٧ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥٧ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٩٤.

والمسانيد، وقد استمرت رحلته سبعًا وعشرين سنة، وعن طريق الرحلة صنف الكثير من الكتب وقفها على المدرسة النظامية(١).

- أبو عبدالله محمد بن عبدالله المرسي السلمي والملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي رحل من بلاد المغرب سنة ٦٠٧هـ، ودخل مصر، ثم رحل إلى الحجاز، ودخل مع قافلة الحجاج إلى بغداد وأقام بها يقرأ ويسمع، بالمدرسة النظامية، ورحل إلى خراسان ونيسابور وهراة ومرو، ولقي بهم العديد من المشايخ، ثم عاد إلى بغداد ثم رحل عنها إلى حلب ودمشق، ويقول ياقوت: رأيته بالموصل ثم حج ورجع إلى دمشق، ثم عاد إلى المدينة فأقام بها على الإقراء، ثم رحل غلى مصر وأقام بها وقد لزم التنسك والعبادة والانقطاع(٢).

وتختلف أهمية الرحلة عند أصحاب المذاهب، فعند الإمامية: اتخذت طابعًا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهي عند الشيعة تحقق غرضًا دينيًا إماميًا في طابعه، بالإضافة إلى الغرض العلمي فالطالب الإمامي يرحل للقاء الإمام ليأخذ الحديث من مصدره الذي لاشك في قوله، في حين أن الطالب غير الإمامي، يرحل لتلقي الحديث من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة(٣).

سادسًا: ملازمة العلماء:

ذكر ياقوت من بين الطرق التعليمية التي أرخ لها والتي تعلم الطلاب من خلالها طريقة الملازمة للعلماء، فقد كان طلاب العلم يلازموا مشايخهم في حلهم وترحالهم لأخذ العلوم عنهم، وقد انتشرت هذه الطريقة مع بداية القرن الثالث الهجري، لأن القرنين الأول

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣ / ٦٩ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٣١٧ وابن العماد: مرجع سابق: ٥ / ٢٢٦. والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ٨٦ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ٢١٢ وابن كثير:مرجع سابق: ١٣/ ١٦٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٤٩ والوافي بالوفيات: ٣ / ٣٥٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٣٣.
(٣) علاء الدين القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية. دكتوراه في أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٤وابن العماد: مرجع سابق: ص ص ١٧ - ١٩.

والثاني الهجريين ساد فيهما السماع والإملاء والقراءة أكثر من ملازمة العلماء ومن هؤلاء الطلاب في القرن الثالث الهجري:

١- الإمام الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي يقول: خرجت من إلى مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها، وآخذ عنها طباعها، فقد كانت أفصح العرب، وبقيت سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما عدت جعلت أنشد الأشعار والآداب والأخبار وأيام العرب(١). ويتضح لنا هنا أن ياقوت بروايته هذه يثبت أن مهنة التعليم لم تكن قاصرة على العلماء المتخصصين وفقط في هذا القرن، بل إن الإسرة قامت بدور حيوي لا يقل أهمية عن دور العلماء.

٢- أبو عمرو إسحاق بن مرار الملقب بالأحوص ت: ٢٠٥هـ الذي لازمه أبناء بني شيبان فأدب بعض أبنائهم، وكان ممن يلزم مجلسه، ويكتب عنه أحمد بن حنبل، الذي كتب عنه الحديث (٢).

٣- أبو عمر صالح بن إسحاق ت: ٢٢٥هـ الذي لازم الجوهري فأخذ عنه كتاب اللغة المسمى بالصحاح، ولازم يونس بن حبيب فأخذ عنه العربية ببغداد، وكان يلازم أبا زيد الأنصاري، وأبا عبيدة والأصمعي، وبالملازمة للعلماء حصّل من العلم ما جعله يكتب كتاب مختصر في النحو، وكتاب التنبيه وكتاب الأبنية(٣).

٤- أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت: ٢٣٠هـ الذي لزمه الأصمعي بضع عشرة سنة ليأخذ عنه علم اللغة فقد كان علامة بها، ويقول الأصمعي: ما رأيت بيده كتابًا قط وما أشك في أنه أملى عنه الناس ما يحمل على أجمال(٤).

٥- سليمان بن مسلم الملقب بصريع الغواني ت: ٢٧٩هـ الذي لازم بشار بن برد يأخذ عنه الشعر حتى أصبح من شعراء الكوفة، ويقول في شأن بشار:

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٢ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ١٧٦.
(٢)معجم الأدباء:٢ / ١٦٧ وابن خلكان: مرجع سابق:١وابن العماد:مرجع سابق:٦٥ والزركلي:مرجع سابق:١ / ٢٩٦.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٤١٨ والأنباري: مرجع سابق: ص ٢٠٦ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٨٩.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٣٣٧ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥ / ٢٨٢.

إن في ذي الجسم معتبرًا لمزيد العلم ملتمسه(١).

ومن طلاب العلم في القرن الرابع الهجري الذين تعلموا عن طريق ملازمة العلماء:

١- أبوبكر أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي ت: ٣١٨هـ الذي كان كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي وعنه تعلم النحو، وكان صادقًا في علمه وبيان من يُسئل عنه، وصنف كتاب الضاد والظاء ذكر الزركلي أنه مطبوع(٢). ومنه نلاحظ أن طريقة الملازمة للعلماء كانت ذات أهمية في ذلك القرن قد أنجبت الكثير من العلماء الأفذاذ.

٢- أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن الملقب بالخلادي ت: ٣٦٠هـ الذي كان محدث العجم في زمانه وكان ملازمًا لمنزله قليل البروز لحاجته (لزيادة تعلمه من كتب العلماء) وكان يقول نعم صومعة الرجل بيته، ونتيجة لهذه الملازمة لمنزله كتب العديد من الكتب في علوم متعددة فله كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ذكر الزركلي أنه مخطوط في علوم الحديث، وقال من أحسنه من كتاب يقع في سبعة أجزاء في مجلدة وحدة بسوهاج تحت رقم ٩٣/حديث ومنه نسخة في الأسكوريال تحت رقم ١٦٠٨، وله كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق وكتاب الأمثال وكتاب المراثي والتعازي وكتاب النوادر(٣).

وفي القرن الخامس الهجري:

١- أبو عبدالله محمد بن فتوح الملقب بالحميدي ت: ٤٨٨هـ الذي كان ملازمًا لأبي محمد بن حزم الظاهري، فقرأ عليه أكثر مصنفاته وأكثر الأخذ عنه، واشتهر بصحبته وكان على مذهبه غير أنه لم يتظاهر بذلك(٤).

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٨ ومعجم المؤلفين: ١٢ / ٢٣٣ وسير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٤٢ وابن رشيق: مرجع سابق: ١/ ٦٤ والوافي بالوفيات: ١٤ / ١٦٠.

(٢) ر ١ / ٣٠١ ومعجم المؤلفين: ١ / ١٣٩ وإنباه الرواة: ١ / ٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٨٥.

(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣ والثعالبي: ٣ / ٣٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ١٩٤.

(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٥ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٢١وتذكرة الحفاظ:١٧/٤- ٢٠ والزركلي:مرجع سابق:٦ / ٣٢٧ والوافي بالوفيات: ٤ / ٣١٧.

وفي القرن السادس الهجري:

١- أبو عبيدالله محمد بن علي المعروف بابن حميدة ت: ٥٥٠هـ الذي كان ملازمًا لأبي محمد بن الخشاب البغدادي يقرأ عليه حتى برع في علم العربية، وصنف كتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب شرح أبيات الجُمل لأبي بكر بن السراج وكتاب شرح المقامات الحريرية وكتاب التصريف وكتاب الروضة في النحو وكتاب الأدوات في النحو وكتاب الفرق بين الضاد والظاء(١).

٢- أبو العلاء المعروف بابن العصار اللغوي ت: ٥٧٦هـ الذي كان يلازم الجواليقي ليقرأ عليه، حتى برع في فنه، وقد تخرج به جماعة منهم أبو البقاء العُكْبَرِي الضرير(٢).

وفي القرن السابع الهجري:

١- أبو بكر بن الدهان الملقب بالوجيه ت: ٦١٢هـ الذي أدرك ببغداد ابن الخشاب، فلازمه وأخذ عنه ولازم ابن الأنباري فقرأ عليه وتتلمذ له، فهو أشهر شيوخه، وسمع منه تصانيفه(٣).

سابعًا: المصاحبة:

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء الكثير من الطرق التعليمية التي انتشرب على مر القرون الهجرية الست الأولى، ومن بين هذه الطرق طريقة المصاحبة التي يصحب فيها التلميذ شيخه وأستاذه، وهي تختلف عن الملازمة فقد يصحب التلميذ شيخه دون أن يلازمه. ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق المصاحبة في القرن الثاني الهجري:

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٧٧.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١٥٦ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٢١.
(٣) معجم الأدباء:٥/٤١وابن خلكان:مرجع سابق:١/ ٤٤٤ونكت الهميان:ص٢٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٧٢.

١- أبو جعفر محمد بن مناذر ت: ١٩٨هـ الذي صحب الخليل بن أحمد، وأبا عبيدة، وأخذ عنهما الأدب واللغة، وعن طريق المصاحبة للعلماء صار محمد بن مناذر من علماء الأدب واللغة، و تفقه وروى الحديث بالبصرة(١).

وفي القرن الرابع الهجري:

١- أبو علي إسماعيل بن محمد الملقب بالصفار ت: ٣٤١هـ الذي صحب المبرد صبحة اشتهر بها وأخذ عنه، وروى عنه وسمع الكثير من أبي العباس المبرد، وصنف الصفار من الكتب كتاب حديث الصفار ذكر الزركلي أنه مخطوط جزء منه، في مخطوطات شهيد علي برقم ٥٤٦/ ٥(٢).

٢- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المُطرِّز ت: ٣٤٥هـ الذي صحب ثعلب زمنًا طويلاً فنسب غليه وعُرف بغلام ثعلب، ومع تقدمه في العلم أخذ عنه أبو علي الحاتمي وأبو القاسم بن برهان(٣).

٣- الصاحب بن عباد (كافي الكفاة إسماعيل بن عباد) ت: ٣٨٥هـ الذي كان يعمل مع ابن العميد وقد عُني به فوصله منذ نعومة أظافره بأحمد بن فارس اللغوي، حتى إذا اتضحت فيه مخايل الأدب ألحقه بابن العميد، فكان يصحبه دائمًا مما جعل الناس يطلقون عليه لقب صاحب ابن العميد، وظل هذا اللقب علمًا عليه(٤).

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المعروف بتُورُون الطبري النحوي ت: ٣٩٣هـ الذي صحب أبا عمر الزاهد، وكتب عنه كتاب الياقوتة(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٧ والأصفهاني: مرجع سابق: ١٧ / ١١ ولسان الميزان: ٥ / ٣٩٠.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٦٠ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٣٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣٢٢.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٢١٢ وإنباه الرواة: ١ / ٢٠١ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٦ والمنتظم ٧ / ١٧٩ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٤ / ١٦٩.
(٥) معجم الأدباء: ١ / ٦٨ ومعجم المؤلفين: ١ / ٥.

وفي القرن الخامس الهجري:

١- أبو عبدالله محمد بن عثمان بلبل ت: ٤١٠هـ الذي صحب السيرافي ليأخذ عنه علم النحو، وصحب كذلك الفارسي وروى عنه كتاب الحجة في القراءات، وسمع منه ابن بشران النحوي(١).

٢- أبو الحسن أحمد بن يحيى السدي المنبجي الملقب بالطائي ت: ٤١٥هـ الذي صحب الإمام الشافعي وتفقه على يديه، وتعلم منه(٢).

٣- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي الملقب بالضرير ت: ٤٤٣هـ الذي صار من أصحاب الحديث بصحبته الإمام أبي بكر القطان، وبصحبته للإمام القطان صنف كتاب شرح مختصر المزني في الفقه(٣).

وظهر من بين هؤلاء الطلاب في القرن السادس الهجري:

١- أبو الحسين سراج بن عبدالملك ت: ٥٠٨هـ الذي صحب أباه نحو أربعين سنة، واقتصر في الرواية عليه، وكان يجتمع إليه مهرة النحاة كابن الأبرش، وابن الباذش، ومن في طبقتهما يتلقون عنه، لوقوعه على دقائق النحو، ولغات العرب، وأشعارها وأخبارها(٤)

٢- أبو البدر الحسن بن علي الإسكاف ت: ٥٩٦هـ الذي صحب أبا محمد الخشاب النحوي، أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة جيدة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة ت: ٥٨٧هـ، فقرأ عليه وبحث معه، وعلق عنه تعاليق واختيارات(٥).

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٤.
(٢) معجم البلدان: ٥ / ٤٨ معجم الأدباء: ٢ / ٨٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٥١ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ٢٤٨ وابن شاكر الكتبي: مرجع سابق: ١٣ / ١٣٥.
(٤) معجم الأدباء: ٣ / ٣٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٨٠.
(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٣٦ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٦٣ وبغية الوعاة: ص ٢٢٥.

ثامنا: المناظرة والجدال:

أرخ ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي ذكرها في كتابه معجم الأدباء طريقة المناظرة، ولاشك أن هذا الأسلوب كان أرقى وأرفع الأساليب التي يجدها المؤرخ للتربية، وعلى وجه الخصوص في هذه القرون التي تناولها ياقوت وهي القرون الست الأولى من الهجرة. ولم تكن في أغلب الأحوال تمارس داخل قاعات الدرس والتعليم في المؤسسات التربوية، وإنما كانت تمارس في المحافل والمجالس العلمية، كذلك لم تكن في غالب الأحوال بين التلاميذ والمعلم، و إنما كانت بين العلماء والمفكرين والفقهاء كأنداد. وممن اشتهروا بالمناظرة والجدال في القرن الثاني والثالث الهجريين:

١- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٦٩هـ حيث اجتمع إبراهيم النظّام وضرار بين يدي الرشيد فتناظرا في القدر، حتى دقت مناظرتهما، فقال الرشيد لبعض خدمه اذهب بهذين إلى الكسائي، حتى يتناظرا بين يديه، ثم يخبرك لمن الفَلَجُ منهما[(١)].

ويلاحظ الباحث أن المناظرة التي تمارس بين العلماء في مجالس الأمراء، كانت تتم تحت إشراف الأمراء، وعند عدم الفصل بينهما كان يتم إرسالها إلى أحد العلماء حتى يحكم ويثبت لمن الغلبة والتفوق في علمه، بشرط تخصص الحكم في موضوع المناظرة.

٢- الإمام الشافعي ت: ٢٠٤هـ ففي رواية الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي صاحب أبي حنيفة، فكنا لا نقدر على مناظرته، فقدم علينا الشافعي فمشينا إليه وسألناه شيئا من كتبه ثم جئنا إلى بشر المريسي فناظرناه فقطعناه (غلبناه وأبطلنا حجته) فقال المريسي: ليس هذا من كيْسِكُمْ (فطنتكم وحذقكم)، هذا من كلام رجل رأيته بمكة (وهو يقصد الإمام الشافعي وقد صدق) معه نصف عقل أهل الدنيا[(٢)].

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٠٠ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٨٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٣ وإنباه الرواة: ٢ / ٢٥٦ والخطيب البغدادي: ١١ / ٤٠٣.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٠٤ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ وسير النبلاء: ٧ / ١٤٧ - ١٦٦ والسبكي: مرجع سابق: ٤ / ٥١ وابن تغري بردي: ٢ / ١٧٦.

٣- أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت: ٢٤٩هـ الذي كان لا يناظر أحدًا إلاّ قطعه، لقدرته على الكلام، وقد أخذ الأدب عن الأخفش، وناظره في أشياء كثيرة منه فقطعه(١).

٤- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب ثعلب الشيباني ت: ٢٩١هـ ففي رواية الخطيب قال: حضر ثعلب والمبرد مجلس محمد بن عبدالله ابن طاهر، فتناظرا في شيء من علم النحو، فما أعْرِفُه كنت أشركهما فيه(٢).

وظهر من بين هؤلاء العلماء في القرن الرابع الهجري:

١- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخياط ت: ٣٢٠هـ الذي قدم من البصرة إلى بغداد فجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة، على المذهبين لبصرى والكوفى في النحو(٣).

٢- أبو العباس أحمد بن محمد الملقب بولاّد ت: ٣٣٢هـ الذي رحل إلى بغداد، وأخذ علم النحو عن الزجاج، وقد جمع ملوك مصر بين ابن ولاد وابن النحاس في المناظرة وهما من تلاميذ الزجاج. وابن ولاد هو صاحب كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد(٤).

ولاحظ الباحث أن مجالس المناظرة التي كانت تعقد بين العلماء هدفها معرفة مدى علم كل منهما، وأن يتعلم العامة من خلال هذه المناظرات.

٣- أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالرازي اللغوي ت: ٣٦٩هـ الذي كان يناظر صاحبه في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه، فإذا وجده بارعًا جدلاً، جره في المجادلة إلى اللغة فيغلبه بها، وقد اختص ابن فارس من نفسه القيام بعلم اللغة فكتب فيه الكثير فله كتاب مقاييس اللغة قال الزركلي أنه مطبوع في ستة أجزاء وكتاب المجمل ذكر الزركلي

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٣٤٥، ٣٤٦ - ٣٥٣ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٧١ وإنباه الرواة: ١ / ٢٤٦ - ٢٥٦ واليافعي: مرجع سابق: ٢ / ١١٠ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ١١٤.

(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٦٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٦٧/١ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ وابن كثير: مرجع سابق ١١ / ٩٨.

(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٩٦ والأنباري: مرجع سابق: ص ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

(٤) معجم الأدباء: ١ / ٦٠٣ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١٦٧ وإنباه الرواة ١ / ٩٩ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٣٣٢ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ١ / ١٧٣.

أنه مخطوط، وقد وصف هذا المخطوط عام ٤٧٩هـ وأهدى هذا الوصف إلى مكتبة جامعة طهران، وقد طبعت منه أجزاء صغيرة الآن، وكتاب الصاحبي مطبوع في علم اللغة ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد(١).

٤- من مجالس المناظرات في هذا القرن: مجلس الوزير بن سعدان ت: ٣٧٥هـ وقد قص منها أطرافًا كثيرة أبو حيان في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، وكان هذا المجلس يضم الشعراء وبعض المتفلسفة وبعض المترجمين، وبعض المهندسين، وبعض الأخلاقيين، وبعض إخوان الصفا، وبعض الكُتّاب والأدباء، وكان مجلسًا حافلاً تعرض فيه جوانب الثقافة من لغة وشعر وإلهيات وأفكار فلسفية وخلقية، ويتحاور هؤلاء المفكرون في كل ذلك محاورات بديعة، وكانت تثار مناظرات كثيرة في المساجد بين الفقهاء بعضهم البعض وكذلك بين المتكلمين واللغويين، وبلغ من اتساع المناظرات أنهم نقلوها أحيانًا إلى الأسواق ويعرض أبو حيان مناظرة طويلة جرت في سوق الوراقين بين طائفة من المفكرين المتفلسفين وبين أحد إخوان الصفا المسمى المقدسي وكان موضوعها عن الصلة بين الفلسفة والدين(٢).

٥- أبو الحسين إسحاق بن يحيى الملقب بالكاتب النصراني ت: ٣٧٧هـ كان جيد المعرفة بمناظرة العُمّال، وله معرفة تامة بالنجوم، ومن كتبه: كتاب الخراج الكبير، ذكر الزركلي أنه يقع في ألف ورقة، وله كتاب الخرج مطبوع في أيدي الناس يقع في مائتي ورقة وكتاب عمل المؤامرات بالحضرة، وكتاب جمل التاريخ(٣).

وقد كانت المناظرة تعقد في بعض الأحيان في ذلك القرن بهدف إعلاء اسم العالِم وشهرته، وأخرى لاختلاف المذاهب الفقهية فقد عقدت مناظرة بين بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي، انتصر فيها بديع الزمان، فعلا صيته، وتألق نجمه، إذ كان الخوارزمي يُعَدُّ في

(١) معجم الأدباء: ١/ ٥٣٤ وإنباه الرواة: ١/ ٩٢وابن خلكان: مرجع سابق: ١/ ١١٨والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٩٣.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٥٣٥ وأبو حيان التوحيدي: مرجع سابق: ٢ / ٣ - ٥.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١٧٢.

الذروة من الكُتّاب والشعراء في عصره، وتصادف أن توفي سريعًا فخلا الجو للبديع الهمذاني، وطارت شهرته، و حينئذ دعاه بنو ميكال أعيان نيسابور وأدباؤها النابهون لتعليم أبنائهم، كانت المكافآت تُعْدَقُ عليه منهم، ولكن سرعان ما فارقها سنة ٣٨٢هـ راحلاً من بلد إلى بلد في خراسان(١).

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين اشتهر بالمناظرة من هؤلاء العلماء:

١- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي الملقب بالضرير ت: ٤٤٣هـ الذي ناظر بين العقل والمال من خلال بعض أبيات من الشعر ذكرها في هذا الصدد فقال:

تنافى المال والعقلُ فما بينهما شكلُ
فعقلٌ حيث لا مال ومال حيث لا عقلُ(٢)

فهو بذلك يقول لا يجتمع المال والعقل في إنسان إلاّ بقلة، فإذا جمع المال فلا عقل له، وهو لا يقصد به ذهاب عقله، ولكنه يريد أن عقله خاليًا مما يصقله من العلم ويزينه فكأنه غير موجود، وإذا كان عالمًا يزين عقله العلم تجد المال يحدو عنه ويبتعد، وقد يقصد به حالته.

٢- أبو رشاد أحمد بن محمد الأخشيكثي(٣) الملقب بذي الفضائل ت: ٥٢٨هـ الذي قام بمناظرة قول العلماء الكبراء، لقياس مدى تمكنهم في مجالاتهم العلمية، وبجانب ذلك اهتم بتصنيف الكتب فله كتاب الزوائد في شرح سقط الزند للمعري، وكتاب عرف بتاريخ أبي رشاد(٤).

(١) والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١١٥ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٥٩ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٠٩ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٥٠ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧ وابن تغري بردي: ٤ / ٢١٨.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٥٢ ومعجم المؤلفين: ١٠ / ٢٤٨.
(٣) اخشيكث: مدينة في دول ما وراء النهر، وهي قصبة ناحية فرغانة على شاطئ الشاش - معجم البلدان: ١ / ١٥٠.
(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٢٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢١٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١٤٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٢.

٣- أبو منصور محمد بن علي الملقب بالعتابي البغدادي ت: ٥٥٦هـ الذي جرت بينه وبين ابن الخشاب النحوي البغدادي مناظرات، تعلم من خلالها الحاضرون من علومهما(١).

٤- أبو الحسن علي بن زيد المعروف بالبيهقي ت: ٥٦٥هـ الذي يقول: خضت في المناظرات والمجادلة سنة جرداء (خالية من النبات)، فكأنه يقول لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة حتى رضيت عن نفسي فيه، ورضي عني أستاذي، وكنت أعقد مجلس الوعظ والمناظرة بالمدرسة النظامية، وفي الجامع القديم، ثم انصرفت واشتغلت بمرو، بتزويج (زواج) صدّني عن التحصيل صدًا(٢).

تعقيب:

لاحظ الباحث أن ياقوت الحموي أرخ لبعض الطرق التعليمية وذكر من بينها المناظرة والجدل، التي سادت في القرون الهجرية التي ذكرها ياقوت الحموي والتي كانت تتم بين العلماء، حتى يكتسب المتعلمين المزيد من العلم، يُمنكهم من عقد مجالس التعليم والتدريس بحلقات الجامع والمدرسة، وكان سبب ظهور المناظرات هو النهضة العلمية وآثارها التي تحدث عنها ياقوت الحموي، فقد كثر عدد في كل علم و فن، كثرة مفرطة ويخيل للإنسان أنه لم يكن هناك شخص في بغداد مثلاً إلاّ وهو يُلّم بعلم أو بطائفة من العلوم، وكان هناك الكثير من بين هؤلاء يشبهون الصحفيين في العصر الحالي، فهم يستطيعون أن يتحدثوا في كل موضوع ويناقشوا كل فكرة، وهيأ ذلك لندوات كثيرة كانت تعقد أحيانًا في قصور السلاطين والوزراء، وعِلْيَة القوم، وكثيرًا ما دارت في هذه الندوات

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٧٦ و ابن خلكان: مرجع سابق: ٤ / ٣٨٩ وإنباه الرواة: ٣ / ١٨٨ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٧٨.

(٢) معجم الأدباء: ٤ / ١١٤، ١١٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٩٠ وسير النبلاء: ٢ / ٢٨٥ والوافي بالوفيات: ١٢ / ٦٨ - ٧٠.

مناظرات خصبة على نحو ما في: " مجلس عز الدولة بختيار، وما أثير فيه من المناظرات التي دارت حول مسائل كلامية، أو تتصل ببعض قراءات الذكر الحكيم "(١).

وبذلك يكون معجم الأدباء من المصادر التاريخية الهامة التي أرخت لبعض طرق التعليم التي كانت سائدة في تلك القرون الهجرية.

تاسعًا: الإلقاء والخطابة (الوعظ)

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمة التي أرخ لها طريقة الوعظ، وهي ما نتناوله اليوم في باب الدعوة والتوجيه، والنصح والإرشاد وهذه الطريقة كانت تتناول الموضوعات الدينية البحتة، ولاشك أن الجمهرة الكبرى من الفقهاء لابد وأن تكون قد مارستها، لأن طرق التعليم تختلف تبعًا لظروف المسلمين ولمناسبة عقول هؤلاء المسلمين ومن العلماء الذين استخدموا هذه الطريقة في التعليم في القرن الثاني الهجري:

١- أبو صفوان خالد بن صفوان الملقب بالمِيْقَرِيُّ ت: ١٣٥هـ الذي كان أحد الفصحاء العرب، وخطبائهم، فكان خطيبًا مفوهًا بليغًا، اهتم بمجالسة هشام بن عبداللملك وخالد القسري للتعليم(٢).

وفي القرن الخامس الهجري ظهر من هؤلاء العلماء:

١- أبو الفضل أحمد بن محمد المعروف بابن الصخري ت: ٤٠٦هـ الذي أخذ طرفي الإتقان والإحسان ثم هو في الارتجال فرد الرجال، بسرعة خاطره، وسلامة طبعه، وحصوله على أعنة القوافي في يده(٣).

ومنه نلاحظ أن العلماء في هذه الطريقة اعتمدوا على الارتجال في الإلقاء دون الاعتماد على النقل من الكتب، أو مكتوب يحمله بيده، فقط كان اعتمادهم على البلاغة وسرعة الخاطر.

---

(١) أبو حيان التوحيدي: مرجع سابق: ١ / ١٣٩.
(٢)معجم الأدباء:٣/٢٧٤وابن خلكان:مرجع سابق: ١/ ٢٤٣ونكت الهميان:ص ١٤٨والزركلي:مرجع سابق: ٢ / ٢٩٧.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١١ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١١٢.

٢- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ ببغداد، الذي كان يرتاد الخطابة لكي يتعلم منه العامة، ففي رواية السمعاني قال: كان أبو بكر الخطيب البغدادي يخطب في بعض قرى بغداد، فقد كان حافظًا فهما (قوي الفهم)(١).

٣- أبو بكر محمد بن أحمد الملقب بالصفار الأديب، ت: ٤٧٠هـ الذي اهتم بتعليم أهل بلدته التي كان يقطنها عن طريق الوعظ، ففي رواية يحيى بن عبدالوهاب بن منده قال كان أبو بكر يعظ الناس مدة، ثم اشتغل بالعلم، تحصيلاً وتعليمًا إلى أن مات، وقد اتصف بصفات العلماء الأجلاء والأساتذة المعلمين، فقد كان حسن الخلق، مائلاً إلى الخيرات(٢)

عاشرًا: التعلم من أفواه العامة كمصدر من مصادر التعليم:

ذكر ياقوت الحموي من بين طرق التعليم التي أرخ لها في معجم الأدباء طريقة الاكتساب والتعليم من أفواه العامة، وقد كثرت في العصر الحالي الكثير من الأبحاث التربوية التي تتناول البيئة كمؤثر في التعليم، وكذلك تحليل الأمثال الشعبية، وقد ذكر ياقوت الحموي في القرن الثاني الهجري من هؤلاء الطلاب:

١- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٦٩هـ الذي أخذ اللغة عن أعراب الحُطَيمة (قرية بالقرب من بغداد)، ولما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتجّ بهم وبلغتهم على سيبويه، وفي رواية المرزباني والرياشي قالا: قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل، وأخذ عنهما نحوًا كثيرًا ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحطيمة فأخذ عنهم(٣).

وقد تصدر الكسائي مجالس التعليم ببغداد بعد إتمامه التعليم عن العامة، فقد لقي الكسائي، الخليل وجلس في حلقته ثم خرج الكسائي إلى بوادي الحجاز، ونجد وقد أنفذ

(١) معجم الأدباء: ١ / ٥٠٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٧٢.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٥٣، ١٥٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٣٠.
(٣) معجم الأدباء: ٤ / ٩٤، ٩٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٨٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٣ وإنباه الرواة ٢ / ٢٥٦.

خمس عشرة قنينة حِبرًا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ثم عاد إلى البصرة فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرّت بينهما مسائل أقرّله يونس فيها وصدّره موضعه(١).

ومن هؤلاء الطلاب في القرن الثالث الهجري:

١- أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي ت: ٢٨٢هـ الذي أخذ عن الأعراب الفصحاء الذين جلبهم ابن طاهر نيسابور، وأكثر الأخذ عنهم، وكان أبو الهيثم وشمر يوثقانه (يحكمان بأنه ثقة ثبت)(٢).

وقد لاحظ الباحث أن الأمراء والعامة معًا كانوا يؤدبون (يعلمون) أبناءهم بما يأخذونه عن أولئك الأعراب، وبهم تخرج (تعلم) أبو سعيد.

٢- أبو سليمان كيسان بن المعرِّف الملقب بالْهُجَيْمِيُّ ت: ٢٩٩هـ كان يخرج إلى الأعراب وهم ينشدون من أشعارهم، فيكتب في ألواحه مما ينشدونه، ثم ينقل من ألواحه إلى الدفاتر ثم يحفظ من هذه الدفاتر ثم يُحدّث(٣).

ويلاحظ الباحث أن أبا سليمان الهجيمي، وضع بعض خطوات البحث التربوي منذ ذلك القرن في أوضح صوره، فكما يقوم الباحث بجمع معلوماته في بطاقات من خلال المراجع التي يرجع إليها، ثم يقوم بتفريغ هذه البطاقات في أوراق تجمع بعضها إلى بعض حتى يكتمل البحث، فقد قام أبو سليمان بذلك غير أن مراجعه كانت من أفواه العامة من الأعراب.

وفي القرن الرابع ظهر من بين هؤلاء الطلاب:

١- أبو عمر أحمد بن سعيد الصدفي الأندلسي ت: ٣٥٠هـ الذي جمع الكثير من علومه من أقوال الناس، فقد سمع بالأندلس جماعة، وارتحل في سنة ٣١١هـ

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٨٨ والخطيب البغدادي: ١١ / ٤٠٣.
(٢) معجم الأدباء: ١/ ٣٤٧ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢١٤ ولسان الميزان: ١ / ١٦٦ وبغية الوعاة: ص ص ١٣١، ١٣٢.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٢١ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢١٣ - ٣١١ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٣٢.

إلى مصر فسمع بها وبمكة، وبالقيروان، ثم رجع إلى الأندلس، ولم يزل يحدث إلى أن مات(١).

وقد أشار الصاغاني في كتاب الأضداد إلى ذلك بقوله: أنه منذ القرن الأول الهجري حرص العلماء على جمع اللغة من مصادرها الأصلية، وأخذها من أفواه الأعراب الخُلّص، و تدوينها فيما صدر عنهم من كتب ورسائل(٢).

حادي عشر: الأخذ عن العلماء والاقتباس من كتبهم:

ذكر ياقوت من بين الطرق التي تعلم الطلاب عن طريقها وأمكنهم تحصيل الكثير من علوم العلماء طريقة الاقتباس والأخذ من كتب العلماء، ومن بين العلماء الذين تعلموا بهذه الطريقة في القرن الثالث الهجري:

١- ثابت بن أبي ثابت الكوفي، كان حيًا: ٢٢٤هـ الذي اهتم بالأخذ عن العلماء، ففي رواية الزبيدي قال: كان ثابت أمثل (أفضل) أصحاب أبي عبيد القاسم، فقد لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم فهو بذلك من كبار الكوفيين(٣).

ويلاحظ الباحث هنا أثر البيئة الطبيعية على طلاب العلم، فقد تأثر الكوفي بهذه البيئة التي عاش بين أفرادها، واتخذ منها محكًا له، هذه الكتابات التي كتبها عن العلماء

٢- أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم الواسطي ت: ٢٣٦هـ الذي قال بقيت زمانًا طويلاً من دهري أغلس (أسير وقت الغلس) إلى هشيم فأسمع منه الحديث ثم أصير إلى الكسائي فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، وآتي الفراء فأقرأ عليه جزءاً، ثم آتي منصور زلزل فيضاربني طريقتين أو ثلاثة، ثم آتي عاتكة بنت شُهدة فآخذ عنها صوتًا

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٦٦ ومعجم المؤلفين: ١ / ٢٣٢ وسير النبلاء: ١٠ / ١٦٩ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٧١ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٣٠.
(٢) الصاغاني: مرجع سابق: ص ٥٢.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٦٣ ومعجم المؤلفين: ٣ / ١٠٠ وإنباه الرواة: ١ / ٢٦١.

أو صوتين، ثم آتي الأصمعي فأناشده، ثم آتي أبا عبيدة فآذاكره، ثم أصير إلى أبي فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت، فإذا كان العشاء رُحت إلى مجلس الرشيد(١).

ومما سبق يلاحظ أن ذلك القرن ظهر به علم الأصوات (الصوتيات)، والألحان التي قد يظن البعض أنها وليدة العصر الحديث، كما يُلاحظ أن هناك أوقات يمكن للمتعلم أن يذهب فيها إلى شيخه أو أستاذه، بعيدًا عن أوقات الراحة وقضاء الحاجة، ويمكن للمتعلم أن يذهب إلى أستاذه ليلاً إذا سمح له في ذلك.

كما يلاحظ أيضًا مشاركة النساء في العملية التعليمية، بل احتلالهن مكانًا بارزًا في التعليم والتدريس، مع ظهور دور الأرسة في متابعة حركة تقدم أبنائها في التحصيل لدروسهم، حيث يقوم الأب بدور المرجع الذي يصب إليه ابنه ما يحصله من علوم العلماء وفقه الفقهاء، وأحكام الحكماء.

٣- أبو العباس جعفر بن أحمد الملقب بالمروزي ت: ٢٧٤هـ الذي كان أحد جمّاعي كتب العلماء في شتى أنواع العلم وهو من مؤلفي اللكتب فله كتاب الناجم وكتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان في البلاغة والخطابة، وله كتاب المسالك والممالك لم يتمه وقد نقلت هذه الكتب إلى بغداد، وبيعت هناك(٢).

٤- أبو الفضل جعفر بن موسى المعروف بابن الحداد، ت: ٢٨٩هـ الذي اقتبس من كتب أبي عبيدة والثعلبي، ولذلك كُتب عنه شيئًا من اللغة وغريب الحديث(٣).

وفي القرن الرابع الهجري اهتم بعض العلماء بترجمة الكتب ونقلها إلى العربية، ثم الاقتباس منها، ومن هؤلاء:

(١) معجم الأدباء: ٢ / ١٣١، ١٣٢ وإنباه الرواة: ١ / ٢١٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٩٢ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٦ / ٣٣٨.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٧٠، ٣٧١ ومعجم المؤلفين: ٣ / ١٣٣ ومعجم البلدان ٦ / ٦.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ٣٩٩.

١- أبو العباس محمد بن المرزباني الملقب بالدميري ت: ٣٠٩هـ كان أحد المترجمين الذي ينقلون الكتب الفارسية إلى العربية، وكان عالمًا بمجازي اللغة، تصدر عنه الكتب الكبار، وله أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس، ومن مصنفاته كتاب الحاوي في علوم القرآن وكتاب ذم الثقلاء قال الزركلي أنه مخطوط، وكتاب المنتخب من كتاب الهدايا قال الزركلي أنه مخطوط أيضًا(١).

٢- أحمد بن أحمد بن أُحَيّ الشافعي ت: ٣٣٥هـ الذي اهتم بالنقل من كتب العلماء في تصنيف كتبه، فله كتاب تكملة العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد، وكتاب التفصلة الذي سماه البخاري كتاب التحصيل، وقد ذكر في صدر هذا الكتاب أنه أخذ معلوماته واستقاها من كتاب الأجناس للأصمعي، وكتاب النوادر لابن عيينة، وكتاب الصفات وكتاب غريب الحديث، وكتاب الصفات لابن شميل، وكتاب المصنف، وكتاب الأمثال،و كتاب غريب الحديث لأبي عبيد، وكتاب الألفاظ، وكتاب الممدود والمقصور وكتاب المعاني، وكتاب النوادر، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب النوادر بزيادات ابن مالك لأبي زيد، وكتاب الصفات لأبي خيرة، وكتاب الفروق والأزمنة وكتاب اشتقاق الأسماء لقطرب(٢).

٤- أبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب ت: ٣٨٥هـ الذي أخذ عن الخليل علم العروض، وعن أبي عمرو بن العلاء علم اللغة، وعن أبي يوسف القضاء، وعن الإسكافي الموازنة وعن ابن مجاهد في القراءات، وعن ابن نُوبخت في الآراء والديانات، وعن ابن جرير في التفسير، وعن أرسطاطاليس في المنطق، وعن الكندي في الجدل، وأخذ عن ابن سيرين في تفسير الروّي، وعن أبي العيناء في البديهة، وعن ابن أبي خالد في الخط، وعن الجاحظ في الحيوان، وعن سهل بن هارون في الفقه، وعن يوحنا في الطب، وعن ابن

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٤٤ واين تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٣ والوافي بالوفيات: ٣ / ٤٤ واللباب: ٣ / ١٠٨ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢٩٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ١١٥.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٦٠٤ ومعجم البلدان: ٣ / ٣٧٦ وإنباه الرواة: ١ / ١٠٧ - ١١٩ وحاجي خليفة: ١ / ٤٨، ٤٤٣.

يزيد في الكيمياء، صاحب كتاب الفردوس، وعن عيسى بن كعب في الرواية ن وعن الواقدي في الحفظ وعن النجار في البدل، وعن أبي الحسن في العروض(١).

ومما سبق يُلاحظ أن الطلاب في ذلك القرن، اهتموا بتلقي العلم عن مشايخهم بالإضافة إلى التنوع في مصادر العلم، دون الاقتصار على علم واحد.

٥- أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان، ت: ٣٩٨هـ الذي كان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع(٢).

ومنه يلاحظ أن بديع الزمان الهمذاني كان يجيد اللغتين جميعًا، فقد قوي ساعد الترجمة في ذلك القرن، وبرع علماؤها، فكان بديع الزمان ينقل القصيدة من الفارسية فيلبس معانيها الثوب العربي فإذا بها أبلغ ما كانت في إبداع وسرعة.

وكان بعض العلماء في القرن الثالث الهجري يعمدون إلى الاقتباس من القرآن الكريم.

فقد كان أبو داود سليمان بن معبد الملقب بالمحدّث ت: ٢٥٧هـ الذي كان ينظم الشعر معتمدًا على اقتباسه من القرآن الكريم ونذكر به من ذلك قوله:

يا آمر الناس بالمعروف مجتهدًا ... وإن رأى عاملاً بالمنكر انتهره

ابدأ بنفسك قبل الناس كلهم ... فأوصها واتل ما في سورة البقرة

أتأمرون ببر تاركين له ... ناسين ذلك دأب الخيب الخسره

وإن أمرت ببر تم كنت على ... خلافه لم تكن إلاّ من الفجره(٣)

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٢٠ والثعالبي: مرجع سابق: ٣ / ١٦٩ والكامل في التاريخ: ٩ / ٣٧ وسير النبلاء: ١٠ / ٢٧٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١١٣ - ١١٦.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٢٦٨ والسمعاني: مرجع سابق: ٥ / ٥٩٢ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧ والوافي بالوفيات: ١ / ١٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١١٥.

(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٩ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٧٦ وتهذيب التهذيب: ٤ / ٢٢١، ٢٢٢.

ومن الطلاب الذي تعلموا عن طريق الاقتباس من كتب العلماء في القرن الخامس الهجري:

١- أبو نصر إسماعيل بن حماد الملقب بالجوهري، ويُعرف بالفارابي نسبة إلى فاراب من بلاد الترك ت: ٤٠١هـ كان يؤثر السفر على الوطن، فقد دخل ديار ربيعة ومضر في طلب الأدب، وإتقان لغة العرب، وحين قضى وطره من قطع الآفاق والاقتباس من علماء الشام وبغداد عاود خراسان، وأصبح إمامًا في علم اللغة(١).

ومما سبق يُلاحظ أن الفارابي كان يطوف البلاد والأوطان، للاقتباس من علم العلماء فقد استوطن الغربة على ساق من أجل اقتباس العلم والنبوغ فيه، وأجهد نفسه في الطلب من العلماء والأخذ من علومهم.

٢- أبو الحسن محمد بن جعفر المعروف بابن النجار ت: ٤٠٢هـ الذي نقل من تاريخ ابن الجوزي، وكان ابن الجوزي قد نقله من تاريخ الخطيب البغدادي حرفًا حرفًا(٢).

ومنه نلاحظ أن أبا الحسن استخدم طريقة ومنهجًا جديدًا في التعليم وتحصيل المعرفة واكتسابها وهي النقل من كتب العلماء، والاقتباس منها.

٣- أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي، ت: ٤٠٦هـ الذي استخدم منهجًا علميًا في التعلم وصفه سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات، بأنه أوضح منهج استخدمه الرياضيين في التعليم، فكان لهذا المنهج اثر واضح وحقيقي في تقدم العلوم الرياضية، وقد كتب الكرخي كثيرًا من الكتب في العلوم الطبيعية المتنوعة، ويعكس هذا التنوع في عناوين الكتب سمتي الموسوعية والمنهجية في شخصية الكرخي العلمية، وطريقته في التعليم والتعلم، وعقليته الإبداعية، وقد اعتمد الكرخي في منهجه على الاقتباس من علوم الأوائل، حتى يُطور علم الرياضيات(٣).

---

(١) معجم الأدباء: ٢٠٦/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٣/١ وإنباه الرواة: ١ / ١٩٤ والثعالبي: مرجع سابق: ٤ / ٢٨٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٨٠ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٧١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٦٤.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٦ ومعجم البلدان: ١ / ٢٦٢ وأحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، (القاهرة، دار الهداية، ١٩٩٧) ص ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٣.

٤- أبو القاسم علي بن عبيدالله الملقب بالدقيقي ت: ٤١٥هـ الذي قرأ كتاب سيبويه على أبي الحسن الرُّماني، قراءة تفهم، وانتفع الناس به(١).

٥- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ت: بعد عام: ٤٢٣هـ الذي درس تفاضل الرياضيات، والفلك والطب على يد أستاذه (عبدالصمد)، وأستاذه (أبي الطيب المنجم)، وأبي سهل المسيحي، ومن أستاتذته الذين كانوا يعطون عليه ويرشدونه على أجوبة المسائل العلمية، إجابات شافية الأستاذ (أبو نصر منصور بن علي بن عراق) وكان يتردد على كتب نوح الساماني صاحب خزانة الكتب المشهورة التي تحوي من نفائس الكتب الكثير(٢).

٦- أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت: ٤٣٦هـ كان ينقل العلم من بين دفتي كتب العلماء ففي رواية أبي بكر المقدسي قال: ذكر شيخنا أبا الفضل محمد بن طاهر فقال : نقلت من خطه وسمعت منه الكثير، وقد كان الشعراء يدخلون إليه يمدحونه فأسمع منهم(٣).

٧- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦١هـ الذي أخذ العديد من العلوم التي ألف فيها أستاذه الصوري، فقد كان للصُّوريّ بصور أخت، مات وخلّف عندها اثني عشر عِدلاً (الرزمة والغرارة) محزومًا من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام حصل من كتب الصوري ما صنف منها كُتبه(٤).

٨- أبو جعفر محمد بن فرج الغساني الكوفي ت: ٤٩٧هـ الذي أخذ العلم عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء، ففي رواية الداني قال: أخذ الغساني القراءة عن أبي عمرو، وله عنه نسخة وروى عنه الحروف(٥).

---

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٨٢ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣١٠.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٥ وعلي الشحات: مرجع سابق: ص ٧٣ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١٤.
(٣) معجم الأدباء: ٤ / ٨١ وإنباه الرواة ٢ / ٢٩٤ ولسان الميزان: ٤ / ٢٢٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٨.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٥١ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٣١٢ والوافي بالوفيات ٦: ٨٢ - ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٧٢ واين تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٨٧.
(٥) معجم الأدباء: ٥ / ٣٩٧ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٣٢٨.

٩- أبو الحسن علي بن طاهر بن جعفر السلمي النحوي ت: ٥٠٠هـ الذي يقول نقل ابن اللبان من خط السمعاني، ما أفاده في تصنيف مؤلفاته(١).

والخلاصة: يتضح لنا من خلال هذا العرض أن ياقوت الحموي ذكر أن القرن الخامس الهجري زخر ببعض الطلاب الذين تعلموا الكثير من العلوم عن طريق الأخذ عن العلماء، والاقتباس من آيات القرآن الكريم، والاقتباس من كتب العلماء، الأمر الذي ساعدهم على التقدم في هذه العلوم، وكذلك تصنيف الكثير من الكتب في شتى أنواع العلوم

وفي القرن السادس الهجري كان تعلم النحو والأدب عن طريق الأخذ من العلماء ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا بهذه الطريقة:

١- أبو عبدالله محمد بن بركات الملقب بالسعيدي الصوفي ت: ٥٢٠هـ الذي أخذ علم النحو والأدب عن ابن بابشاذ، فأتقنه، وصنف من الكتب كتاب الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ ذكر الزركلي أنه مخطوط ألفه للأفضل بن أمير الجيوش وكتاب خطط مصر قال الزركلي إنه مطبوع، وقال عن السعيدي أنه شيخ عصره في مصر في علم اللغة(٢).

بعد هذا العرض لبعض الطرق التعليمة التي ذكرها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) نلاحظ أنه لم يقتصر في تناوله لهذه الطرق بالحديث عن الطرق التقليدية القديمة فقط مثل: الإملاء والحفظ والتلقين، والقراءة، والوعظ، والمحاضرة، والتلقين، والمناظرة والجدل، والاقتباس من كتب العلماء والأخذ عنهم، وإنما تناول بالحديث بعض الطرق الحديثة في التعليم مثل: المناقشة بين المعلم والمتعلم والتجربة، والابتكار، وتشويق الطلاب إلى موضوع الدرس، والامتحان الذي يتم في صورة تقويم لما سبق أن تعلمه الطلاب، وسوف يتناول الباحث كل طريقة من هذه الطرق بشيء من الإيضاح تبعًا لظهورها في القرون الهجرية.

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٣٢ وبغية الوعاة: ص ٣٣٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٣٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٠١ وبغية الوعاة: ص ٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٥١.

أولاً: المناقشة:

ظهرت هذه الطريقة في القرن الثاني الهجري وكانت تتم في مجالس العلماء وأحيانًا بين الشعراء، حينما يريدون معرفة معلومة جديدة على أفهامهم، ومن هؤلاء:

١- رؤبة بن العجاج ت: ١٤٥هـ كان من أعيان أهل اللغة في الدولتين الأموية والعباسية وكان العلماء يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، فقد اتخذ من المناقشة طريقًا للتعليم من خلال مجالسه ففي رواية يونس بن حبيب النحوي قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه رؤبة، وعند شبل بن عروة الضيعي، فسأله أبو عمرو عن معنى الرؤبة ؟فلم يجبه من بالمجلس، فأجابه رؤبة بأنها القطعة التي يشعب (ينظف) بها الإناء، فتعلم من بالمجلس معلومة جديدة على أفهامهم، وذكر ابن خلكان قوله: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة(١).

وكانت الأسئلة التي تلقى من الطلاب في مجالس التعليم تعد إحدى طرق التعليم ففي القرن الثالث الهجري كانت الأسئلة تساهم بهذا الدور التعليمي ومن الطلاب الذين تعلموا بهذه الطريقة:

١- أبو العباس الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ الذي روى عنه جحظة في أماليه قوله: كنت يومًا في مجلس ثعلب، فقال له رجل: ياسيدي ما البعجدة ؟ فقال: لا أعرفها في كلام العرب(٢).

ومما سبق نلاحظ أن أبا العباس أعطى صورة تربوية أخرى وهي أن المتعلم لا يجيب إجابة خاطئة خروجًا من الموقف، ولكنه عندما يكون غير متمكن من إجابته يقول الله أعلم فيكون بذلك قد أجاب.

---

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٤١ وابن كثير: مرجع سابق: ١٠ / ٩٦ ولسان الميزان: ٢ / ٢٦٤ وخزانة الأدب: ١ / ٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ٣٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٨٧.

(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٧٢ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٠٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ١٨١ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ٩٨ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٣٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٦٧.

ثانيًا: التجربة:

ذكر ياقوت أن علماء وطلاب القرنين الرابع والخامس الهجريين، لم يقتصروا في تعلمهم على نقل وسرد المعلومات، وإنما اتخذوا من التجربة العلمية نموذجًا يحكمون به على صدق معلوماتهم.

ومن علماء القرن الرابع الهجري الذي استخدموا التجربة كواحدة من طرق التدريس:

١- أبو علي محمد بن الحسن الملقب بالحاتمي ت: ٣٨٨هـ كان لا يقصر معلوماته على النظر، ولكنه أمعن النظر في شيء من علوم العرب فكان يلقي الحجر في البئر ليعرف به غزارة مائها من قلته، وقد حكى ذلك ابن الأعرابي، ومن مؤلفاته كتاب حلية المحاضرة قال الزركلي إنه مخطوط في الأدب والأخبار، يقع في مجلدين منها نسخة في القرويين بفاس تحت رقم ٥٩٠[(١)].

وكان علماء ذلك العصر يعتمدون على التفكير والعقل وعدم الاقتباس في تعلمهم ومن هؤلاء:

٢- أبو علي المُحَسِّن بن علي التنوخي ت: ٣٨٤هـ ببغداد، الذي اعتمد على الابتكار والتفكير في تأليف الكتب فقد صنف كتاب الفرج بعد الشدة ذكر الزركلي أنه مطبوع في ثلاثة مجلدات، وكتاب نشوار المحاضرة ةاشترط فيه أن لا يضمنه شيئًا نقله من كتاب، وقد بلغ الكتاب أحد عشر مجلدًا، كل مجلد له فاتحة بخطه. وفي رواية غرس النعمة قال صنفه التنوخي (كتاب نشوار المحاضرة) في عشرين سنة[(٢)].

ومن علماء القرن الخامس الذين اعتمدوا على التجربة:

١- أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي ت: ٤٠٦هـ الذي اعتمد على المنهج العلمي والتجربة في التعليم فقد وصفه سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات، بأنه أعظم الرياضيين الذين

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٣٢٨ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢٢٢ والوافي بالوفيات: ٢ / ٣٤٣ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٢ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٢١ وهدية العارفين: ٢ / ٥٦.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٦٣ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٥٣ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٢٤ والثعالبي: مرجع سابق: ٢ / ١٠٥ - ١١٥ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ١٢ / ٧٧.

كان لهم أثر حقيقي في تقدم العلوم الرياضية، فهو من علماء الرياضيات والهندسة في عصر النهضة الإسلامية، عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقد ترك مؤلفات نفيسة تخبرنا عن مآثره العلمية، وتعكس سمتي الموسوعية والمنهجية في شخصية الكرخي العلمية، وطريقته في التعلم والتعليم، وعقليته الإبداعية(١).

ويذكر الكرخي في مقدمة كتابه: الفخري في الجبر والمقابلة (نسبة إلى الوزير البغدادي فخر الملك) قوله: إني وجدت موضوعًا لإخراج المجهولات في جميع أنواعها وألفت أوضح الأبواب إليه وأول الأسباب عليه، صناعة الجبر والمقابلة لقوتها واطرادها في جميع المسائل الحسابية على اختلافها، ورأيت الكتب المصنفة فيها غير ضامنة لما يحتاج إليه من معرفة أصولها، ولا وافية بما يستعان به على معرفة فروعها، وأن مصنفيها أهملوا شرح مقدماتها التي هي السبيل إلى الغاية والموصلة إلى النهاية ثم إني استخرجت في هذه الصناعة بدائع لم أر لأحد فيها كلامًا، واستنبطت غوامض لم أجد في كتبهم لها ذكرًا ولا بيانًا(٢).

ويعترف المستشرق الشهير (وبكه) بأن الكرخي في حلوله كان مبتكرًا، وذا شخصية متميزة في معالجة المباحث الرياضية، ويمثل طابع التفكير العلمي المستقل عند العرب(٣).

ومن ذلك نلاحظ أن طريقة التجربة والابتكار والإبداع كانت سائدة ومتميزة في ذلك القرن بين علماء المسلمين، وأضافت إلى كتب العلماء إضافات وشروح متعددة يتجلى ذلك في شرح الكرخي لمقدمات كتب العلماء، حتى يستفيد الدارسين من هذه الشروحات، ويكفي هنا أن نشير إلى أن الكرخي كان أول من برهن النظريات التي تتعلق بإيجاد

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٦ ومعجم البلدان: ١ / ٢٦٢ وأحمد فؤاد باشا: مرجع سابق: ص ٩٦ وقدري حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٣) ، ص ١١٣.
(٢) ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢١١ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٨٣ وقدري حافظ طوقان: مرجع سابق: ص ١١٧.
(٣) عبدالمجيد نصر، الرياضيات في الحضارة الإسلامية، أعمال ندوة التراث العلمي العربي في العلوم الإسلامية (جامعة الفاتح: ليبيا - طرابلس، ١٩٩٠)، ص ٨٩.

مجموع مربعات ومكعبات الأعداد الطبيعية، وهو صاحب أقدم نص يوضح نظرية ذات الحدين، بل إنه وضع لها جدولاً على شكل مثلث صار يعرف الآن بمثلث باسكال، ومن الحق أن ينسب هذا المثلث إلى الكرخي لو كان التاريخ ينصف صانعيه الحقيقيين.

واهتم الكرخي بغرس طريقته العلمية أيضًا في وضع تقنية جديدة للأبحاث العلمية فقد قدم لنفسه في كتابه إنباط المياه الخفية باعتباره عالمًا وخبيرًا ذا قدرة على تعويض قصور المتقدمين في صناعة الحفر لاستخراج المياه الجوفية على أسس علمية وتقنية تتطلب معرفة الدورة المائية (الهيدرولوجية)، وأنواع المياه الجوفية، وطرق الاستدلال عليها وقد ضمن كتابه براهين رياضية وتحليلات هندسية، وشرح عددًا من الحركات التي تحدث في الأرض وربط بين المياه وبين الاختلافات التضاريسية على سطح الأرض(١). كما ربط بين الأحواض المائية الجوفية والتكوينات الجيرية الجيولوجية، وقدم الكرخي وصفًا تفصيليًا لأجهزة القياس ولتنفيذ أعمال إنشائية، وصنف أنواع التربات تبعًا لخصائصها، ومدى صلاحيتها لأعمال الحفر، وأفاض في بيان الأحكام والقوانين الشرعية الإسلامية التي تحكم مصادر المياه الجوفية(٢).

٢- أبو الريحان البيروني ت: ٤٢٣هـ كان من أوائل المسلمين الذين اتخذوا من البحث والتجربة والابتكار وسيلة إلى تحصيل المعارف فهو لا يؤمن بقاعدة اعتناق الآراء المسلم بها دون ما تمحيص ولا تحقيق، وكان يصر على المباشرة والمراقبة للأمور، فكان يمتحن الأشياء بعقله ويبحث عنها، فهو يدعو إلى الاستقصاء في البحث، ويحذر مما يسمى كلام التقليد، ويقول أن جملة (الله أعلم) ليس فيها مسامحة بالجهل (أي من يقولها في رأي البيروني لا يعفي نفسه من الجهل بالأمور) ويصرح البيروني بأن

(١) المرجع السابق: ص ٩٠ وأبو بكر حسن الكرخي، إنباط المياه الخفية، تحقيق بغداد عبدالمنعم، (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٧)، ص ص ١٨، ١٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩.

النجاح موهبة من الله - تعالى - غير مكتسبة، بل يخص بها قومًا دون قوم، لا يصلون إلى الممكن إلاّ بالمواظبة والدأب على الممارسة(١).

ونلاحظ أن البيروني قد وضع هذا المنهج العلمي الذي يعد من الوسائل التي عن طريقها يمكن الكشف عن الحقائق.

وقد استمرت هذه الطرق العلمية الحديثة حتى القرنين السادس والسابع الهجريين ومن علماء القرن السابع الهجري:

١- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت: ٦٠١هـ الذي اعتمد على الطرق التربوية الحديثة في الكتابة والتعليم فقد كان يعتمد على العقل والابتكار والتجديد وإعمال الفكر في حصوله على العلوم حيث يقول: إن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبَوّبوها وأما أنا فكل ما عندي فمن نتاج أفكاري، وكنت كلما رأيت الناس مُجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض (أبطل) به المتقدم. ويقول: إن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته، وأما أنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكاري، ثم أجمع الناس على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر، فعملت كتاب الخمريات من شعري لو عاش أبو نواس وسمعه لاستحى أن يذكر شعر نفسه، وصنفت في الخط كتاب لاشتغال الناس بسواه(٢).

ومن الطرق التربوية الحديثة في القرن الثالث الهجري، تشويق الطلاب إلى موضوع الدرس قبل تعليمهم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي عبدالرحمن بقي بن مخلد الأندلسي .: ٢٧٦هـ أنه كان منصبًا على تعليم الطلاب من خلال مجالسه، ففي رواية سفيان الثوري قال ك حُدِّثت عن بقي أنه قال يومًا لطلابه أنتم تطلبون العلم ؟ ثم يجيب عن سؤاله فيقول لهم هكذا يُطلب العلم: إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضي

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٢٤١ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١٤.
(٢) معجم الأدباء: ٤ / ٢٩ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥٧ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٩٤.

أسمع العلم، كأنه يقول لهم هذا خطأ أن تذهب إلى المعلم وقت فراغك، وتهتم بشغلك لكي تجمع المال، ثم يضرب لهم مثال على أهل العلم فيقول: إني لأعرف رجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم لا يكون عنده قوت يومه، إلاّ من بقايا طعام غيره، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شراء كاغد (ما يُكتب عليه) حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها(١).

ومنه نلاحظ أن هذه دعوة صريحة لطلب العلم، وترك العلم الذي يحول بين الإنسان وبين التعليم، وإن أدى ذلك إلى ترك الإنسان لمتاع المال، فإنه يحق للإنسان أن يبيع ملابسه لكي يشتري بها أدوات التعليم وأدوات الكتابة، فإن ذلك سيخلفه الله تعالى - فالعلم خير من المال، كل ذلك عن طريق التشويق للطلاب كي يقدموا على التعليم.

وضع علامة صح للإجابة الصحيحة وعلامة خطأ للخاطئة:

ظهرت هذه الطريقة مع علماء القرن الخامس الهجري، ومن بين العلماء الذين اعتمدوا على هذه الطريقة:

١- أبو القاسم إبراهيم بن زكريا الملقب بالإفليلي النحوي ت: ٤٤١هـ الذي اتخذ هذه الطريقة في تدريسه لأبناءه فيقول: كان إذا كتب على إجابة الطلاب صح (صاد حاء) كان لا دليلاً وعلامة على صحتها، لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً، أو نقصًا فوضع حرفًا على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان ذلك علامة على أن الحرف سقيم، فوضع عليه حرف غير تام، ليدل على نقص الإجابة وعدم صحتها(٢).

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٣٣٢ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٥٣ وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٦٨ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٧٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ١٦٩.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٥١٢ ومعجم المؤلفين: ١ / ٩٤ وإنباه الرواة: ١ / ١٨٣ والوافي بالوفيات: ٥ / ٧٨ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٦٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٦١ وبغية الوعاة: ص ١٨٦.

المراجعة والتكرار:

ذكر ياقوت في كتابه معجم الأدباء بعض الطرق الحديثة في التربية وذكر من بينها طريقة المراجعة والتكرار، ومن علماء القرن الخامس الهجري الذين اعتمدوا على هذه الطريقة في التعليم والكتابة:

١- أبو الفضل أحمد بن محمد الملقب بالصخري ت: ٤٠٦هـ الذي ذكره بديع الزمان الهمذاني بخصائص منها سرعة الإتيان بالارتجالات وإثباتها بالاقتراحات، فكان يكتب الكتاب المقترح عليه، يبتدئ بآخر سطر، ثم هلم جر إلى آخر السطر الأول حتى يخرجه مستوفي الألفاظ والمعاني، ثم يراجع ما كتبه على أساتذته حتى يمكنه معرفة موطن الخطأ(١).

وفي القرن السابع الهجري:

١- أبو بكر المبارك بن المبارك الملقب بالوجيه ت: ٦١٢هـ كان يكرر إجابته على طلابه بهدف التحصيل فقد جاءه رجل في حلقته، فسلم عليه ثم سأله عن مسألة نحوية فأجابه الشيخ بأحسن جواب، ودَلّه على محجة الصواب (طريقته)، فقال له الرجل أخطأت فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب، وسهل له طريقته وبين له حقيقته فقال: أخطأت أيها الشيخ، فقال له يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت: فقال له لقد فهمت ما قلت، وقد عرفت مرادك ووقفت على مقصودك(٢).

ومن هذا العرض نلاحظ أن ياقوت الحموي ذكر من بين الطرق التربوية الحديثة التي كانت سائدة في القرن الخامس الهجري، والقرن السابع الهجري طريقة المراجعة والتكرار، التي كان المعلمون يهتمون بها، أثناء تدريسهم، فقد كان الدرس يعاد مرة تلو

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٢٦ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١١٢.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٤٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٤٤٤ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٢٧٢ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٦ / ٢١٤ ونكت الهميان: ص ٢٣٣.

الأخرى حتى يتمكن هؤلاء الطلاب من استيعاب وفهم دروسهم، دون أن يغضب المعلم أو يسفه أحلام هؤلاء الطلاب.

ثالثًا الامتحان والتقويم :

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء من بين الطرق التربوية الحديثة طريقة التقويم والامتحان للمعلمين والطلاب على حد سواء، للوقوف على مستوى العلماء ومعرفة ما حصله الطلاب، فكان العالم يمتحن قبل أن يسند إليه تعليم الطلاب. ومن علماء القرن الثالث الهجري الذين تم امتحانهم:

١- أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت: ٢٤٨هـ الذي روى عنه الأصفهاني قال: ذكر الواثق لأمير المؤمنين قومًا من العلماء بقوله: إن هاهنا قومًا يختلفون إلى أولادنا، فأمره أن يمتحنهم، فمن كان عالمًا ينتفع به، ألزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناهم عنه، قال ممتحنهم فما وجدت فيهم طائلاً (القدرة)، وحذروا ناحيتي (قاموا واحترزوا وخافوا) فقلت لا بأس على أحد منكم(١).

ومما سبق نلاحظ أن هؤلاء المعلمون قاموا بهذه الطريقة التربوية الحديثة للتأكد من أنهم أهلاً للتعليم، حتى يؤدوا رسالتهم تجاه الطلاب، ولا يقوم بالتدريس إلاّ من كان أهلاً له، بعلمه وقدرته على إيصال العلوم إلى هؤلاء الأبناء، والامتحان للعلماء يمكن القائمين من الوقوف على مدى معرفة العلماء، ومدى تمنكهم من القيام بالتدريس لهذه العلوم، وهو ما تفعله الآن كليات التربية، من التربية العملية والامتحانات الشخصية للطلاب عند القبول بهذ الكليات.

(١) ومعجم المؤلفين: ٣ / ٧١ والأنباري: مرجع سابق: ص ص ٢٤٢ - ٢٥١ وإنباه الرواة: ١ / ٢٤٦ - ٢٥٦ والكامل في التاريخ: ٧ / ٣٤ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧ / ٩٣، ٩٤ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ١١٣.

ومن هؤلاء العلماء في القرن الرابع الهجري:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ كان الامتحان من الوسائل التي يقاس بها علمه، ليتصدر مجالس الإقراء والتعليم، ففي رواية هارون بن عبدالعزيز قال: قال أبو جعفر لما دخلت مصر لم يبق أحدٌ من أهل العلم إلاّ لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاء رجل فسألني في شيء من العروض فقلت له، فإذا كان في غدٍ فصر إليّ وطلبت من صديق لي كتاب العروض للخليل بن أحمد فجاء به فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عَرُضِيّ وأصبحت عروضيًا(١).

٢- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المطرز، ت: ٣٤٥هـ الذي قال عنه الخطيب البغدادي: رأيت جميع شيوخنا يوثقونه، ويصدقونه، وكان يُسئل عن الشيء فيجيب عنه ثم يُسئل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب(٢).

٣- أبو منصور محمد بن أحمد الملقب بالأزهري ت: ٣٧٠هـ الذي اُستخدم معه الامتحان لمعرفة ما وصل إليه من التعليم وأنواع المعرفة فيقول: كنت أمْتحنت بالأسار (الأسر) سنة عارضت القرامطة (فرقة من غلاة الشيعة) الحاجُّ بالهبير (زود في طريقة مكة كانت عنده موقعة ابن أبي القرمطي سنة ٣١٢هـ)(٣).

ومنه نلاحظ أن الامتحان الذي تعرض له الأزهري كان الأساتذة الممتحنين له قومًا من البادية لمعرفة ما وصل إليه الأزهري، من تقدم في العربية واللغة والمذاهب السائدة ورأيه فيها خاصة الشيعة، وذلك كمقياس لمستوى التعليم عنده.

٤- أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ت: ٣٩٠هـ كان يمتحن العلماء قبل أن يُسند إليهم تعليم أبناء الأمراء، لمعرفة المادة التي نبغوا فيها حتى ينال المتعلم قسطًا

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥١، ٢٥٢ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣ / ٢٠٥ وميزان الاعتدال: ٣ / ٣٥ واللباب: ٢ / ٨١، وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٠.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦١ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.

(٣) معجم الأدباء: ١١٣/٥ومعجم المؤلفين:٨ / ٢٣٠وسير أعلام النبلاء:١٠/ ٢٢٦والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣١١.

من المعرفة واللعلم حيث يقول المنصور لعلماء مجلسه: هذا الرجل (صاعد) القادم علينا يزعم أنه متقدم في العلم وأحب أن يُمتحن. فلما مَثُلَ بين يديه والمجلس قد غصَّ بالعلماء والأشراف أقبل عليه ابن العريف وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن كتاب سيبويه، فلم يحضره جواب السؤال، واعتذر بأن النحو ليس جُلَّ بضاعته، قال له ابن العريف: فما تحسن أيها الشيخ ؟ فقال: حفظ الغريب، فقال له: فاوزن أولق ؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا إنما يسأل عنه صبيان المكتب، وناظر صاعد ابن العريف فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعرًا شاهدًا،وحكاية تناسبها فأعجب المنصور به، فقرّبه وقدمه، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له كل شهر ثلاثين دينارًا، واختاره مؤدبًا لأولاده(١).

ومنه نلاحظ أن بعض القضايا التربوية التي عالجها ياقوت الحموي في ذلك القرن عن طريق ذكره إياها هي تقويم العلماء وامتحانهم لمعرفة نوع العلم الذي يقوم العالم بتدريسه للمتعلمين، ولابد أن تكون أسئلة التقويم على درجة استعداد العالم فلا يكون السؤال صعبًا يؤدي إلى التعقيد، ولا يكون بسيطًا فلا يقيس علمًا ويدلل على جهل السائل.

كما نلاحظ أن العلماء كانوا إذا أثبتوا تفوقهم في علومهم كافأهم الأمراء بالمال على تفوقهم، مثل ما يقدم الآن في العصر الحاضر من جوائز الدولة والأفراد التشجيعية للعلماء، مقابل نبوغهم وتفوقهم في أعمالهم العلمية، بل كان الأمراء يقدمون أبنائهم للأخذ عن هؤلاء العلماء الذين أثبتوا تفوقهم العلمي.

رابعًا: الإجازة:

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التي تعلم من خلالها الطلاب طريقة الإجازة وهي تعني: سماع المتعلم من المعلم، وهي دون طريقتي العرض والسماع في المرتبة وتقتصر

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٢١٠، ٢١١ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٦٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦١.

الإجازة في معظم الأحيان على الحديث، فقد تكون الإجازة محدودة بأحاديث معينة أو عامة تشمل جميع المادة التي حدَّث بها أو صنفها، وتأخذ الإجازة عدة أشكال: فقد تكون شفوية أو تحريرية، والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية ومن أشكالها أيضًا:

- أن يأتي المتعلم إلى المحدث ويطلعه على بعض المعلومات التي اقتبسها من مصنفاته ويطلب منه أن يتأكد مما تحتويه، ويسمح له بروايته.
- أن يسمح المعلم (الشيخ) لأحد تلاميذه برواية جزء من أو كل ما سمعه في حياته وتعلمه عن شيوخه.
- أن يسمح شخص لآخر برواية هذا حصل عليه عن طريق الإجازة.

وقد تكون المناولة شكل من أشكال الإجازة تتم بأن:

يقدم الشيخ (العالم) بعض ما كتبه من كتب أو كلها لعالم آخر وهي منسوخة بخط يده ويذكر له العلماء الذين أخذ عنهم المادة والأسلوب الذي حصل بواسطته على هذه المعلومات، ثم يسمح له برواية ما في هذه الكتب.

ونذكر هنا بعض النماذج التي ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء لندلل بها على ما سبق أن ذكرناها في أشكال الإجازة، وقد عدّ ياقوت الحموي أن موافقة الأمراء على ما يلقيه الشعراء من قصائد في مجالسهم بمثابة إجازة.

ففي القرن الثاني الهجري كان الإجازة من الأمراء للشعراء ومن بين هؤلاء :

١- أبو ثابت ربيعة بن ثابت الملقب بالرُّقِّيِّ الشاعر، ت: ١٩٨هـ الذي منحه أمير المؤمنين الإجازة فقد استقدمه أمير المومنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورة، فأجازه وأجزل صلته(١).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٣٣.

وفي القرن الثالث كانت الإجازة (التي تعد بمثابة الشهادة) تمنح عن طريق القراءة، ومن بين هؤلاء العلماء:

١- أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ت: ٢٠٤ الذي اهتم بالقراءة على أساتذته ومنهم (مالك بن أنس)، لنيل الإجازة التي يتصدر بها مجالس التعليم فقد كان لمالك بن أنس فراسة (من التفرس)، فقال للإمام الشافعي، إذا كان غدًا تجيئ ويجيئ من يقرأ لك، قال أنا أقوم بالقراءة، يقول الشافعي: فغدوت عليه وابتدأت أنا أقرأه ظاهرًا والكتاب في يدي، فكلما أردت أن أقطع أعجبه قراءتي وإعرابي (إفصاحي وعدم اللحن في الإعراب) فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، فلما توفي مالك بن أنس رحلت إلى اليمن، فكان لي بها شأن(١).

ومنه نلاحظ أن القراءة التي قام بها الشافعي أمام أستاذه مالك بن أنس تعد أحد أشكال الإجازة التي تصدر بها مجالس التعليم بعد وفاة أستاذه.

٣- أبو جعفر أحمد بن الحارث الملقب بالخراز، ت: ٢٥٧هـ كان يعرض أعماله على العلماء ليصحح ما بها من أخطاء فقد أسمع المدائني كتبه كلها، وهو ببغداد، لينال بها الإجازة(٢).

وفي القرن الرابع الهجري كانت الإجازة يحصل عليها العلماء عن طريق السماع، والمناولة للكتب، ومن هؤلاء العلماء:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ الذي أعطى الإجازة لغيره عن طريق السماع. ففي رواية عبدالله بن أحمد الفرغاني قال: وجدت على جزءٍ من كتاب التفسير لابن جرير بخط الفرغاني قوله: أجزت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٣ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ وطبقات المفسرين: ص ٢٢٧ وتهذيب التهذيب: ٩ / ٢٥ - ٣١ واين تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ١٧٦ وتاريخ بغداد: ٢ / ٥٦.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٣٤١ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٠٩ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٤٠.

محمد (من تلاميذه) ما سمعته من الطبري من كتابه المسمى بجامع البيان، وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك، وقد أخذته عنه إجازة(١).

وكانت الإجازة تتم عن طريق المناولة بين كتب العلماء ومقابلتها فيقول الطبري حدثتني نفسي وأنا صبي بكتاب التفسير فكان أبو عمر الزاهد يعيش زمانًا طويلاً بمقابلة الكتب مع الناس، فيقول: سألت أبا جعفر عن تفسير آية فقال: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفًا واحدًا أخطأ في نحو ولا لغة(٢).

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت: ٣١١هـ الذي مُنح الإجازة عن طريق الحفظ والاستظهار ففي رواية الفراء قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه، فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية، وبها منح الإجازة(٣).

ومنه نلاحظ أن المتعلم كان يمنح الإجازة (الشهادة) إذا تمكن من حفظ ما تعلمه.

٣- أبو القاسم إبراهيم بن عثمان القيرواني النحوي ت: ٣٤٦هـ كان يحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد وغريب المصنف لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وغيرهم من الكتب، وحفظ قبل ذلك كله كتاب سيبويه(٤).

ومنه نلاحظ أن الانتقال من علم الفقه إلى الحديث إلى علم اللغة إلى النحو إلى المنطق كان بمثابة الدرجات العلمية والشهادات التي يحصل عليها المتعلم في ذلك القرن.

٤- أبو العباس إسماعيل بن عبدالله الملقب بالميكالي ت: ٣٦٢هـ الذي حصل على الإجازة بسماعه من العلماء وقراءته عليهم ففي رواية الحاكم قال: سمعت أبا العباس وقد

(١) معجم الأدباء: ٥/ ٢٤٥ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وسير النبلاء: ٩ / ٢٠٦ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٦٢ - ١٦٩.
(٢) الكامل في التاريخ: ٨ / ٤٢ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥١ وابن العماد: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٠.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٨٧.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ١٣٠ ومعجم المؤلفين: ١ / ٥٨ والوافي بالوفيات: ٥ / ٥١ وبغية الوعاة: ص ٢٨٣.

سُئل عن مقصورة الدريدي فقال: أنشدني فيها مؤدبي أبو بكر الدريدي، ثم قرأتها عليه مرارًا فأقر بها لي(١).

وفي القرن الخامس الهجري حصل على الإجازة من العلماء:

١- أبو علي الحسن بن علي الملقب بالأهوازي المقرئ ت: ٤٤٦هـ الذي قرأ على العلماء كي يحصل منهم على الإجازة لتصدر مجالس التعليم، ففي رواية أحمد بن منصور قال: لما ظهر من الأهوازي الإكثار من الروايات في القراءات، ووصل إلى بغداد وقرأ على بعض الشيوخ الذين روى عنهم، جاءوا له بالإجازات وبخطوطهم، ثم قدم الأهوازي دمشق سنة ٣٩١هـ وسكنها وقرأ القرآن بروايات كثيرة، وأقرأه غيره(٢).

ونلاحظ أن الإجازة هنا كانت إجازة تحريرية بخط العلماء.

٢- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦٣هـ ببغداد، الذي يقول: اجتمعت بالقاضي الأكرم في عدة مجالس بحضرته، وأجازني برواية، وقد اجتمعت بالدقيقي بأجزته، والدقيقي عالم من أهل مصر توفي بالقاهرة، وهو صاحب كتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني، قال الزركلي إنه مخطوط في اللغة، وكتاب لباب الألباب ذكر الزركلي أنه مخطوط في شرح كتاب سيبويه الجزء الأول منه في خزانة حسن حسني عبدالوهاب بتونس(٣).

خامسًا: الكتابة وأدواتها:

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي ساهمت في تعليم العامة والخاصة من طلاب العلم طريقة الكتابة، وقد تناول ياقوت بعض أدوات الكتابة التي كانت سائدة في تلك العصور التي أرخ لها ياقوت.

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٢٩٢ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٣١٨.
(٢) معجم الأدباء: ٣ / ١٩ ولسان الميزان: ٢ / ٢٣٧ - ٢٤٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٥٦ وسير النبلاء: ١١ / ١٥٢ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٤٧.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٥٠٤ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٢٢.

ففي القرن الثاني الهجري كان من بين العلماء الذين استخدموا هذه الأدوات:

١- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت: ١٩٤هـ الذي كان يأمر صبيانه أن يدفعوا بعض أدوات الكتابة إلى تلاميذه كي يستخدمونها في التعليم، ففي رواية محمد بن الجهم السِّمَّرِيّ قال: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل، ويدفع إلينا الكاغد والجلود، وقد صُقِلَتْ (أعدت للكتابة) والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا الأحمر وعليه ثياب الملوك، فقد كان مؤدبًا للمأمون العباسي، وأوصله الكسائي إلى الرشيد فعهد إليه بتأديب أبنائه واستمر في نعمه إلى أن توفي(١).

ومنه نلاحظ أن أدوات الكتابة التي كانت سائدة في القرن الثاني الهجري هي الكاغد وهو القرطاس المعد للكتابة، والجلد وهو معروف والأقلام التي كانت تصنع من البوص أو الغاب، وبجانبه المحبرة التي كانت تملء بحبر أحمر أو أسود والسكاكين التي تستخدم لتنظيف الأقلام وإمالة أسنانها، كما نلاحظ أن العلماء والشيوخ كانوا يخرجون في أحسن زينتهم كي يعملوا طلابهم لأن ذلك أوقع إلى نفس المتعلم يستشعره بالوقار والاحترام.

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت الرقاع: وهي القطعة من الثوب أو ما يرقع به الثوب أو القطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها. وقد استخدم الشافعي ت: ٢٠٤هـ الرقاع يجيب عن الأسئلة التي بداخلها، ففي رواية: أبي سليمان الخطاب قال: كان الشافعي يومًا من أيام الجُمع جالسًا للنظر فجاءت امرأة برقعة وألقت إليه بها فأجاب عنها(٢).

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٥ وبغية الوعاة: ص ٣٣٤ وإنباه الرواة: ٢ / ٣١٣ وميزان الاعتدال: ٤ / ٢١٨ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧١.

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٠٥ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ والسبكي: مرجع سابق: ٤ / ١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ٥٦ - ٧٣.

ونلاحظ هنا اهتمام النساء بطلب العلم.

ولم يقتصر الشافعي على استخدام الرقاع وإنما استخدم العديد من أدوات التعليم التي كانت متاحة في عصره فقد استخدم الخزف (وهو ما صنع من الطين وشوي حتى صار فخارًا) والدفوف (الجلود التي يعمل منها الطبل والضمامات) وكرب النخيل (أصول السعف الغلاظ العِراض التي تقطع معه) وعسيب النخيل(جريدة النخلة المستقيمة يكشط خوصها) وأكتاف الجمال (عظم عريض خلف المنكب) يكتب عليهم الحديث ويقول: كنت أجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور (الأوراق) فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب (جرار جمع جرة) ملأتها أكتافًا وخزفًا وكربًا مملوءة حديثًا(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يستخدمون الأدوات الكتابية التي يمكنهم الحصول عليها من البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها، رغم صعوبة استخدام هذه الأدوات، ومع ذلك نبغ هؤلاء العلماء وتفوقوا في شتى أنواع العلوم، وكانت الدولة أحيانًا تساهم في توفير أدوات الكتابة للعلماء، فقد أخذ الشافعي الأوراق من الدواوين كهبة له.

٢- أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي المعروف بابن النديم ت: ٢٣٦هـ الذي كان يكتب شعره على الرقاع، ويعرضها على الواثق بالله، فيأمر له بالعطايا(٢).

٣- أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الملقب بالأزدي ت: ٢٨٢هـ كانت تعرض عليه الأسئلة من طلابه مكتوبة على الرقاع، فيجيب عن هذه الرقاع(٣).

٤- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ الذي استخدم الرقاع في نقل العلم بين العلماء حيث يقول: بعث إليّ عبدالله بن أخت أبي الوزير رُقعة فيها خط المبرد يسأل عن مسألة في القتل فأجبته(٤).

---

(١) ابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ١٧٦ وتهذيب التهذيب: ٩ / ٣٠، ٣١.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ١٤٥ ومعجم المؤلفين: ٢ / ٢٢٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٨١ وإنباه الرواة: ١ / ٢١٥ والأصفهاني: مرجع سابق: ٥ / ٢٦٨ - ٤٣٥.
(٣) معجم الأدباء: ٢ / ١٩٨ ومعجم المؤلفين:٢/ ٢٦١وسير النبلاء:٧٩/٩ والخطيب البغدادي:مرجع سابق: ٦ / ٢٨٤.
(٤) معجم الأدباء: ٢ / ٦١ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ١٨١ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٢١٤.

ومن العلماء الذين استخدموا الرقاع كواحدة من أدوات التعليم في القرن الرابع الهجري:

١- أبو بكر أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي ت: ٣١٨هـ كان يجلس إلى أسطوانة (السارية والعمود) من أساطين الجامع، يستلم الرقعة من الرقاع التي كتبت فيها الأسئلة فيجيب عنها(١).

٢- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ كان يجيب على الرقاع التي تصل إليه من العلماء والأمراء، ويكتب إجابته على رقعة أخرى، في قد أجاب على رقعة كتبها إلى سيف الدولة، جوابًا عن رقعة وردت منه(٢).

٣- أبو عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥هـ الذي استخدم الرقاع كوسيلة للتخاطب بينه وبين العلماء والأمراء، فقد أنفذ إليه إبراهيم بن أيوب بن ماسي رقعة يسأله فيها عن مسألة فكتب له الإجابة على ظهرها وردها إليه(٣).

٤- أبو بكر محمد بن الحسن الملقب بالنقاش ت: ٣٥١هـ الذي استخدم الرقاع في التعلم ففي رواية المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن زياد النقاش قال: لقيت رقعة قد رفع فيها سؤال إلى القاضي أبي بكر الأنطاكي، فأخذتها وكتبت الإجابة على ظهرها، ورددتها إليه(٤).

ومنه نلاحظ أن الرقاع التي كان يجيب عنها العلماء، إذا نالت القبول عند طلاب العلم والعلماء كان يأتي الرد عليها من هؤلاء الطلاب متضمنًا حسن الأسلوب، والمعرفة التي حصل عليها هؤلاء الطلاب من تلك الرقاع.

(١) معجم الأدباء: ١ / ٣٠١ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٠٧.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٩٦.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٣٦٣ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨٦ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢ / ٣٠٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٥ / ٣٠٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢١٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٦١٩ وسير النبلاء: ١٠ / ١٤٢ والوافي بالوفيات: ٢ / ٣٤٥.

٦- أبو الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن حنزابة ت: ٣٩١هـ الذي استخدم العديد من أدوات التعليم ووسائله، فقد أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب، وقد كان من أعيان كتاب آبائه ودولته، فأجاب عنها ابن المدبر وردّها إليه(١).

ومنه نلاحظ أن الأمراء والوزراء استخدموا الرقاع في التعليم، فقد أرسلوها إلى العلماء وأجاب عنها العلماء بما يفيد هؤلاء الأمراء في مجال العلم الذي يطلبونه.

٧- أبو الفضل الحسين بن يحيى الملقب ببديع الزمان الهمذاني ت: ٣٩٨هـ الذي استخدم الرقاع في التعليم عن طريق إرسالها إلى العلماء فقد كتب رقعة إلى الخوارزمي يسأله عن مسائل في الرياضيات واعتذر له عن ذلك بقوله: يعز عليّ أن ينوب في خدمتك قلمي عن قدمي، ويسعد برؤيتك رسولي دون وصولي(٢).

ولم يقتصر استخدام الرقاع في التعليم على الرجال فقط، وإنما شاركتهن النساء في ذلك وقد ظهر استخدام النساء للرقاع في التعلم في القرن السادس الهجري ومن بين هؤلاء النساء في ذلك القرن:

حفصة بنت الحاج الرّكواني ت: ٥٨٦هـ بمراكش، التي انفردت في عصرها بالتفوق في الأدب وسرعة الخاطر بالشعر، وقد نعتت بأستاذة وقتها فكانت تعلم النساء في دار المنصور، واستخدمت الرقاع في نشر ما تكتبه من شعر، وعلم الحديث، فقد أرسلت إلى أبي جعفر بن سعيد وهو بين جلسائه، رقعة مكتوب عليها أبيات من الشعر، تسأله عن معناها فلما قرأها، قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلاّ حفصة(٣).

وقد استخدمت الرقاع في التعليم أيضًا في القرن السابع الهجري، ومن بين هؤلاء الذين تعلموا عن طريق الرقاع:

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ٣٨١ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ١٢٦ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٤ / ٢٠٣ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧ / ٢٣٤.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٢٧٠ والوافي بالوفيات: ٣ / ١٥٩ والكامل في التاريخ: ٩ / ٧٢ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ١٥٠ وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٢١٧.

(٣) معجم الأدباء: ٣ / ٢٣٠، ٢٣١ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ١٢٥ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٢٤٠.

- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلي ت: ٦٠١هـ الذي استخدم الرقاع في تعليم غيره عن طريق الإجابة عنها. ففي رواية محمد بن حامد الموصلي قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس منه ومن علومه، فدخلت عليه، وجرت مذاكرات بيني وبينه، ثم أجوجت رقعة له مكتوب بها، ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفرًا ياديك ؟ فقال: شطر أعاديك، ديك، وقلبه: كيد، أردت أن تقول الكيد حظ من كفر أياديك، فقلت له: أحسنت(١).

ومن أدوات التعليم الأقلام والدفاتر والمحابر:

فقد استخدم الطلاب والعلماء معًا هذه الأدوات في نقل العلوم، ففي القرن الثالث الهجري استخدم (إبراهيم بن العباس الصولي ت: ٢٤٣هـ) هذه الأدوات في التعلم فقد تأدب ببغداد وكان كاتبًا للمعتصم والواثق والمتوكل، وفي رواية أبي الغيث قال: كنت عند إبراهيم الصولي وهو يكتب فنقط القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه، فعجبت فقال: لا تعجب المال فرع، والقلم أصل ومن السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ومع نبوغه وتقدمه في العلم يقول ياقوت: كان الصولي إذا قال شعرًا اختاره وأسقط رذله وأثبت نخبته(٢).

وقد استخدم الصولي الدفاتر والأوراق في مؤلفاته وتصنيف الكتب، ففي رواية الجهشياري قال: رأيت دفترًا بخط إبراهيم الصولي وقد كتب فيه شعرًا، وقد صنف كتاب الدولة(٣).

(١) معجم الأدباء: ٤ / ٣٥ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢٥٧ وسير أعلام النبلاء: ١٣ / ٩٤.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ١١٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٩ والوافي بالوفيات: ٥ / ٤١، ٤٢ والأصفهاني: مرجع سابق: ٩ / ٢٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٢ / ٣١٥ والمسعودي: مرجع سابق: ٢ / ٢٩٩ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٦ / ١١٧.
(٣) ابن النديم: مرجع سابق: ١ / ١٢٢ - ١٦٦ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٤٥.

ومن العلماء الذين استخدموا الأقلام في القرن الثالث الهجري:

- أبو عبدالله محمد بن القاسم المعروف بابن أبي العيناء، ت: ٢٨٣هـ الذي استخدم القلم كوسيلة من الوسائل التي تساعد على تقدم العملية التعليمية، ففي رواية ابن الخصيب قال: وصف أحد العلماء قلم ابن أبي العيناء قال: كنت أرى قلم ابن أبي العيناء يكتب بما يصيب، ولو نطق لنطق بنوك (حق)(١).

وكان طلاب العلم في ذلك القرن تلازمهم محابرهم ودفاترهم كوسائل تساعدهم على التعليم.

- فقد كان الدينوري ت: ٢٨٩هـ يتخطى أصحاب ثعلب على باب داره، ومعه محبرته ليحضر مجلسه، ويكتب عنه ما يُلقى من العلم(٢).

وقد استمر ظهور هذه الأدوات في القرن الرابع الهجري، ومن بين هؤلاء العلماء الذين استخدموا هذه الأدوات:

١- أبو عبدالله الحسن بن علي الملقب ابن مقلة ت: ٣٠٩هـ كان ينزل في دار قوراء (واسعة) حسنة، وفيها فرش تشاكلها، ومجلس دست (صدر المجلس)، وله شيء للنسخ، وحوض فيه محابر وأقلام، وإذا ضاق صدره من الكتابة والتعلم، كان يقوم ويتمشى في الدار، ثم يعود فيجلس في تلك المجالس، وينسخ ما يخف عليه، ثم يقوم حول البستان ثم يعود يجلس في مجلسه وينسخ أوراقًا أخرى، ولذلك اجتمع من خطه في خزائن بغداد ما لا يحصى(٣).

ومنه نلاحظ أن ابن مقلة يعطي بذلك درسًا تربويًا، وهو أن الطالب الذي يجلس للتعلم لابد وأن يكون حاضر الذهن غير فاتر وإذا أصابه ضيق أو ملل فعليه أن يجدد نشاطه عن طريق الحركة ولو كان ذلك بداخل المنزل، حتى يعود إلى التعلم وهو نشيط صافي الذهن، لديه القدرة على التركيز والتحصيل.

---

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤٠٦ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٣٩ والوافي بالوفيات: ٤ / ٣٤١.
(٢) معجم الأدباء: ٣١٣/١وإنباه الرواة: ١/ ٣٣وجورجي زيدان:مرجع سابق:١٨١/٢والزركلي:مرجع سابق: ١ / ١٠٧.
(٣) معجم الأدباء: ٣ / ١٦ ومعجم المؤلفين: ٧ / ٦٠ وإنباه الرواة: ٢ / ٢٤٢ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٤.

٢- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ الذي استخدم الأقلام والورق لكي يرصد ويسجل كل ما يأخذه عن العلماء، ففي رواية السمسي قال: إن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، وفي رواية الاسفراييني قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يُحصِّل كتاب الطبري في التفسير لم يك ذلك كثير، وقال الطبري لتلاميذه أتنشطون لتفسير القرآن ؟ فقالوا: كم يكون مقداره ؟ قال: ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة(١).

وقد استخدم علماء القرن الرابع الهجري الحبر كأداة من أدوات التعليم، وكانوا يفتخرون بالتصاق الحبر بثيابهم، و من هؤلاء العلماء:

- أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول الملقب بالتنوخي ت: ٣١٨هـ كان يفتخر بأن الحبر إذا لطخ ثياب العلماء وأصابعهم فإن ذلك لا ينقص من عظمتهم ومكانتهم ويقول في ذلك:

رأيت العيب يلصق بالمعالي ... لصوق الحبر في لفق الثياب
ويخفي في الدَّنئ فلا تراه ... كما يخفى السواد على الإهاب(٢)

وقد جمع علماء ذلك القرن بين الكاغد، والحبر، والورق في التعليم، ونقل العلوم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الملقب بطباطبا، ت: ٣٢٢هـ الذي طلب من أصحابه محبرة وكاغدًا وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطوعات من الشعر، فسأله بعضهم لمن هي ؟ فلم يجبه حتى فرغ من نسخها، وملء منها خمس ورقات، وأحصيت الأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتًا، كان قد حفظها(٣).

(١) معجم الأدباء: ٥/٢٥٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٣/٢٠٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦/٦٩ وجامع البيان: ١ / ٤٧.
(٢) معجم الأدباء: ١ / ٢٦٤ ومعجم المؤلفين: ١ / ١٦٠ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٢٠.
(٣) معجم الأدباء: ٥ / ٩٨ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٥ / ٣٠٨.

- أبو الحسن علي بن عبدالله الملقب بالناشئ الحلاء، ت: ٣٦٥هـ قال: كان المغلس يستعمل المحبرة في كتاباته، ففي رواية بديع الزمان قال: فيما قرأت على ابن فارس سمعت أبا الحسن الناشئ قال: حضرت مجلس أبي الحسين المغلس الفقيه، فانقلبت محبرة كان يستعملها في الكتابة للحصول على المعرفة واكتساب العلم، فترفع عن رفع ثيابه عنها(١).

واستعمل علماء القرن الرابع الهجري الكاغد كأداة من أدوات التعليم ففي ترجمة (ابن خنزابة ت: ٣٩١هـ قال: كان إبراهيم بن سعيد الحبّال قد حرّج للحافظ السجزي أكثر من مائة شيخ، في عشرين جزء كان قد كتبها في كاغد عتيق، فسُئل الحبال عن الكاغد فقال: هذا من الكاغد، الذي يحمل للوزير(٢).

ومنه نلاحظ أن هناك كانت أدوات خاصة يستعملها العلماء في الكتابة للأمراء والوزراء.

- أبو العباس، أحمد بن إبراهيم الملقب بالكافي الأوحد، ت: ٣٩٩هـ الذي كان يكتب للأمراء كتبًا بأسمائهم مقابل أن تقدم لهم أدوات الكتابة فقد قدّم له فخر الدولة الدواة والكاغد، وطالبهم بكتب بخطوطهم بما يصححونه، فألزموا له عشرة آلاف درهم(٣).

ومنه نلاحظ أن الأمراء والوزراء كانوا يقدمون أدوات الكتابة من كاغد وورق وحبر إلى العلماء، من أجل أن يكتبون له مؤلفات وكتب بأسمائهم، بالإضافة إلى الأجرة التي كانت تصل هؤلاء العلماء.

وقد كان الأمراء والوزراء إذا اتهم أحد العلماء جعلوا عليه فدية لنفسه، فقد قبض فخر الدولة على (أبي الحسن عبدالجبار بن أحمد) والعلماء الذين معه، وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف درهم، فأدوا ذلك من ثمن الورق الذي كتبوا عليه علومهم(٤).

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٥١ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١٤٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ٣٥٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٣٠٤.
(٢) معجم الأدباء: ٢ / ٣٨١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧ / ٢٣٤.
(٣) معجم الأدباء: ١ / ٢٤٢.
(٤) معجم الأدباء: ١ / ٢٤٠.

ومنه نلاحظ أن القاضي وأبي العباس قدموا فدية لأنفسهم من خلال بيعهم للأوراق التي كانوا قد كتبوا عليها كتبهم.

وفي القرن الخامس الهجري استخدم العلماء الأقلام والقراطيس في الكتابة والتعليم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو الفضل أحمد بن محمد الملقب بالصخري ت: ٤٠٦هـ الذي استخدم القلم والقرطاس في كتاباته فقد كان يكتب الكتاب يبدأ بآخر سطر فيه ثم يمضي قدمًا في الكتاب حتى أوله(١).
- أبو إسحاق سعيد بن إبراهيم بن عقيل ت: ٤٧٤هـ الذي قرأ تعليقه أبي الأسود الدؤلي التي ألقاها إليه عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وكانت مكتوبة على الورق ومكونة تقريبًا من عشرة أوراق.

وفي ذلك القرن أطلق العلماء على الورق اسم الكراريس ففي ترجمة ياقوت (لأبي العلاء المعري ت: ٤٤٩هـ الذي أرشده تلاميذه إلى استخدام الكراسات في التعليم فقد أملى على تلاميذه كتاب الفصول والغايات في البلاغة وكتاب القوافي ذكر الزركلي أنه مطبوع يقع في سبعة أجزاء مقداره مائة كراسة، وكتاب اللامع العزيزي ذكر الزركلي أنه مخطوط من مخطوطات جامعة الرياض، وهو شرح لديوان المتنبي ألفه لعزيز الدولة (فاتك بن عبدالله) يقع في ٢٤٠ ورقة، وكتاب رسالة الغفران مطبوع من أشهر كتبه وهي تقع في عشر كراريس(٢).

والخلاصة:

مما سبق عرضه بالنسبة لأدوات الكتابة يتضح أن معجم الأدباء لياقوت الحموي يعد مصدرًا هامًا من مصادر التأريخ لأدوات الكتابة ووسائل التعليم على مدار عدة قرون حيث يمكننا من خلال هذا المصدر التعرف على أهم أدوات الكتابة.

---

(١) معجم الأدباء: ٢ / ١١ ومعجم المؤلفين: ٢ / ١١٢.

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٤٢٠ - ٤٢٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٣ / ٢٨٠ وابن تغري بردي: مرجع سابق: ٥ / ٦١٠ وابن الجوزي: مرجع سابق: ٨ / ١٨٤ - ١٨٨ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ١٥٧.

مثل: الرقاع وهي القطعة من الثياب أو ما يرقع به الثوب، أو القطعة من الورق أو الجلد والتي يكتب عليها الكثير من أنواع العلم مثل علم الحديث والفقه والتفسير وكذا بعض العلوم اللغوية والعقلية،وكذا الرق: أداة من أدوات الكتابة التي ذكرها ياقوت وهي الجلد الرقيق الذي يكتب عليه، وكذلك الكاغد، والخزف، وهو ما عمل من الطين وشوي حتى صار فخارًا، وأكتاف الجمال، وعسيب النخيل، وغيره من أدوات التعليم التي ساعدت على انتشار التعليم بين الطلاب والعلماء على حد سواء، ولم يمنع أمر صعوبة هذه الوسائل المستخدمة في الكتابة العلماء من عدم التسجيل للعلوم، فرغم صعوبة الكتابة على هذه الأدوات فقد استخدموها في الكتابة، وورثها اللاحقون من السابقين، وقدم خدمة هذه الكتابات أغراض التربية فقد وصلتنا علوم هؤلاء العلماء عن طريقة بها وتوريثها لتكون محققة لما هو مطلوب منها، وقد ذكرنا هذه الخباب التي ملأها الإمام الشافعي بأكتاف الجمال وعسيب النخيل والخزف والتي كتب عليها الكثير من الأحاديث ومن علم الفقه وإن كان ياقوت لم يذكر بالتحديد بداية استخدام هذه الأدوات غير أنه ذكرها بدأ من القرن الثاني الهجري، لكن هذه الأدوات كانت مستخدمة في الكتابة منذ الجاهلية وفي صدر الإسلام فقد ذكر الدكتور / حسين محمد سليمان في كتابه التراث العربي الإسلامي قال " لم تكن القراءة والكتابة وليدة الفترة التي قبيل الإسلام ومما ينص على ذلك كتابة مكة لعمر بن شبة، الذي كتبه بخطه، وكان عرب الحجاز يستخدمون الكتابة على الحجر، فقد كانت القراءة والكتابة منتشرة في البيئة التي نزل فيها القرآن سواء في مكة أو يثرب وفي كل الأماكن المحيطة بها مثل الطائف وغيرها"(١).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأدوات الكتابية التي كانت مألوفة في هذا المجتمع والتي يعرفها جيدًا هذا المجتمع، وبذلك فقد أضاء القرآن الكريم الطريق أمام هؤلاء العلماء لمسايرة استخدام هذه الأدوات في الكتابة والتعليم، فيقسم المولى سبحانه بقوله:

(١) حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، (القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٧)، ص ٢١٤.

{ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ } (١)

فقد أشارت الآية إلى القلم كأداة من أدوات الكتابة والتعلم، فالسطر هنا بمعنى الكتابة.

ومن ذلك جاء قوله تعالى:

{ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ.... } (٢)

فقد ورد في الآية الكريمة أداة من أدوات التعليم وهو القرطاس المقصود به الورق الذي يكتب عليه، ويقول سبحانه :

{وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ... } (٣)

وفي هذه الآية وردت أداة القلم كواحدة من أدوات التعليم، ويقول سبحانه

{ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣} (٤)

والرق هنا، بمعنى الجلد الرقيق الذي يكتب عليه أو الصحيفة البيضاء، وهذه الآيات جميعًا تؤكد معرفة العلماء العرب بوسائل الكتابة، بل لا تقتصر هذه على الآيات على ما سبق أن ذكرناه، بل تمتد إلى أكثر من ذلك حيث تعرف الجلود، والقرطاس (الورق من بردي وغيره) والوسيلة المستخدمة في الكتابة وهو القلم، والسائل المستخدم وهو الحبر

كما أن الكتابة واستخدام أدواتها في التعليم لم تقتصر على الرجال بل كان هناك من النساء من يستطيعون الكتابة والتدوين واستخدام هذه الأدوات مثل حفصة بنت الحاج، كما تضمن هذا الفصل الإجابة على سؤال البحث الذي يقول: ما أهم الطرق التعليمية والوسائل التي عرض لها كتاب معجم الأدباء لياقوت ؟ وكانت الإجابة عليه تتضمن ذكر بعض الطرق التي كانت سائدة في القرون الهجرية التي أرخ ياقوت، ومن هذه الطرق طريقة.

(١) سورة القلم : الآية١ .
(٢) سورة الأنعام : من الآية ٧ .
(٣) سورة لقمان : من الآية ٢٧ .
(٤) سورة الطور : الآيات ٢ :٣ .